نقد ميرلوبونتى لنظرية الجشطلت
فى كتابه "تركيب السلوك"

منى محمود عثمان رشوان*

monaosmaa719@gmail.com

ملخص

في إطار الإجابة عن السؤال ما هي علاقة الوعي بالطبيعة ؟ وجد مرلوبونتي لدي المعاصرين له إجابتان الاولي : في الاتجاه الواقعي الذي يري الحقيقة في الأشياء أو القوي الطبيعية والذي تمثل في البيولوجيا و علم النفس ،رات البيولوجيا الكائن الحي مجموعة أجزاءمادية خارج بعضها البعض سواء فسرت عمل الأجزاء بشكل آلي أم فسرته بشكل حيوي ، فبدأت من الكائن الحي كمجموعة أجزاء متجاورة في المكان خارج بعضها البعض، لكن أضافت إليها قوي غير مادية

وفي علم النفس وجدنا نفس الاتجاه المادي الواقعي ،فالعالم نسق من الأشياء خارج بعضها البعض و خارج الوعي بها، والوعي هو أحداث في الدماغ توجد في ذاتها مثل كل الأشياء المادية لكنه يتسم ببعد ذاتي معين هو الوعي ،وهو يرتبط عليا بالأحداث الأخري(ومن جهه أخري نجد الاتجاه العقلاني الذي يري الوعي قوة لكن من طبيعة غير مادية)

أما الاجابة الثانية :التي وجدها مرلوبونتي لدي معاصريه عن السؤال عن علاقة الوعي بالطبيعة فهي في الاتجاه الترانسنتدنتالي الذي يري الوعي مكوِّنا للطبيعة ،يتخذ ومرلوبونتي موقفا ثالثًا خلاف الواقعي و المثالي .

في القسم الأول يستعرض البحث معني كلمة صورة أو شكل عند ماخ (إدراك الشكل الكلي للمستطيل مثلا عن طريق إحساسات عضلية معينة للعين) و يوضح معني الصورة عند اهرنفلس (إدراك الكل لا يرجع إلي إحساسات عضلية إنما إلي معطي موحد مباشر معين مختلف عن الإحساس بالنغمات ينشأ إذا حضرت صور الذاكرة للنغمات المتتابعة ويعتمد عليها) ثم يأتي فرتهيمر –أحد مؤسسي علم نفس الجشتالت – ويري أن الإحساس

* مدرس الفلسفة الحديثة و المعاصرة بكلية الآداب – جامعة دمنهور

بالكل الموِّحد أو الجشتالت يحدث بدون مثير موضوعي معين علي نحو ما يحدث في ظاهرة الفاي : حيث اتضح أن الحركة المدركة هي في الوعي فقط دون وجود شيء يتحرك في الخارج ،و هذه الحركة هي إدراك ومعني في الخبرة لعمليات فسيولوجيه تحدث في الدماغ، و تشكل أساسا للخبرة و تتشابه معها في التركيب.

وفي القسم الثاني يتعرض مرلوبونتي لنقد النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس لأنها تفسر السلوك مثل تفسير الطبيعة في الاتجاه الواقعي علي أنه أجزاء منفصلة خارج بعضها البعض ترتبط بعلاقات العلية ليجد أن هناك علاقة جدلية بين الكائن الحي و البيئة وكلاهما يتبادل العلاقة مع الآخر: البيئة تؤثر لكن لكي يتم التأثر لابد أن يعرض الكائن الحي أعضاءه لاستقبال التأثير.إذن الإدراك و الحركة في الكائن الحي أو الجهاز العصبي هو وحدة و كل وجشتالت العلاقة بين الأجزاء فيه علاقة علية دائرية لا خطية

كذلك إلي جانب وجود التركيب المادي والتركيب الحيوي يوجد التركيب الإنساني الذي يتميز بالسلوك الرمزي ، والخطأ الذي وقع فيه أصحاب علم نفس الجشتالت هو أنهم اعتبروا الجشتالت شيء في العالم و ردوا النظامين الحيوي و العقلي للنظام المادي .

الكلمات المفتاحية: ميرلوبونتى – نظرية الجشطلت – "تركيب السلوك

مقدمة :

فى مستهل المقدمة القصيرة– ذات الثلاث صفحات – لكتابه "تركيب السلوك ١٩٤٢م*" "Structure of Behavior كتب ميرلوبونتى : "هدفنا هو فهم علاقات الوعى بالطبيعة : خارج بعضها البعض ترتبط معا بعلاقات العلية "(1)، وهذا التصور للطبيعة هو تصور العلوم لها نجده مثلًا فى علم الأحياء Biology "حيث الكائن الحى كتلة مادية من الأجزاء خارج بعضها البعض"(2)، وقد ظلت البيولوجيا واقعية * تفترض الوجود فى ذاتهin itself لتلك الأجزاء سواء كان تفسيرها آلى mechanistic (الكائن الحى مجرد أجزاء مادية تعمل بشكل آلى معد من قبل

كما هو الحال فى الفعل المنعكس الآلى reflex الذى انتقده ميرلوبونتى فى الفصل الأول من كتابه المشار إليه) أم حيوى vitalistic (أى تفسير يفترض وجود قوى حيوية فى الأجزاء المادية تميز الكائنات الحية من الأشياء المادية).

وبالنسبة لعلم النفس "فبالقدر الذي حاول أن يكون علمًا طبيعيًا فقد ظل مخلصًا للواقعية و للتفكير العلّى "(3) ، جعل المذهب المادى** ما هو عقلى mental جزءًا من العالم الواقعى ،

فمن بين الأحداث التى توجد في ذاتها هناك أحداث مادية فى الدماغ لها أيضًا خاصية الوجود لأجل الذات for itself (الوعى) أى أن من بين الأحداث فى العالم توجد أحداث لها بعد ذاتى خاص، و ترتبط عليّا بالأحداث الأخرى ، وبالمقابل اعتبر المذهب العقلانى mentalism الوعى قوة لكن من طبيعة غير مادية.

وجدنا هنا تصور الطبيعة ككثرة من الأحداث خارج بعضها البعض، و ترتبط بعلاقة العلية أساسًا لعلمى النفس والبيولوجيا، وهذا هو الاتجاه الواقعى Realistic لكننا نجد اتجاهًا آخرًا لدى المعاصرين لميرلوبونتى يفهم الطبيعة على أنها "مجموعة العلاقات الموضوعية التى يحملها الوعى " (4)، وهذا هو التفكير النقدى Critical thought أى المثالية النقدية التى سادت فرنسا، ويمثلها أستاذه ليون برنشفيك* Léon Brunschvicg (١٨٦٩-١٩٤٤) التى قدمت حلًا مشهورًا لمشكلة علاقة الوعى بالطبيعة ،حيث رأت أن التأمل قد أوضح أن التحليل المادى ليس تفكيكًا إلى عناصر حقيقية وأن العلية ليست فى معناها الفعلى عملية إنتاجية ،إنه لا توجد طبيعة مادية بمعنى الموجود فى ذاته ولا يوجد فى العالم شىء غريب

عن العقل ، فالطبيعة هى فكرتنا عنها و لولا مقولات الفكر لما وجدت الطبيعة بالنسبة لنا.

فيما سبق وجدنا اتجاهين فى معالجة علاقة الوعى بالطبيعه الأول: هو الواقعية التى رأت الوعى نتاجا للطبيعة، والثانى :هو الاتجاه المثالى الذى رأى الوعى مكوِّنا constitutes للطبيعة، الأول هو الاتجاه الطبيعى naturalism و الثانى هو الفلسفة الترانسندنتالية Transcendentalويحاول ميرلوبونتى فهم علاقة الوعى بالطبيعة لكن دون الوصول إلى هذين الاتجاهين (الواقعى أو الطبيعى naturalist و المثالى الترانسندنتالى) أى دون الوجود فى ذاته الذى افترضه علم النفس (لكى يصبح علمًا طبيعيًا) وبدون الوعى الخالص الترانسندنتالى الذى يكوِّن العالم ولا يقع فيه وذلك من خلال دراسته للسلوك Behavior ، وهو يرى أن" فكرة السلوك مهمة لأننا– إذا اعتبرناها فى ذاتها– نجدها محايدة بالنسبة للتمييز الكلاسيكى بين (العقلى mental) و(الفسيولوجى physiological)، ومن ثم تعطينا هذه الفكرة الفرصة لتحديد الاثنين من جديد " (5) ؛ أى أننا إذا وجدنا سابقًا – فى بحث علاقة الوعى بالطبيعة – الاتجاهين المثالى والواقعى أى ما يجعل الوعى (العقلى) مكونًا للطبيعة عاليًا عليها و ما يجعل الطبيعة (الفسيولوجى) أو الأحداث المادية موجود فى ذاته، فالسلوك محايد بالنسبة للطرفين لا ينتمى لأى منهما منفصلًا.

إشكالية ومنهج البحث:

السؤال المحورى فى البحث هو: ما طبيعة النقد الذى وجهه ميرلوبونتى لنظرية الجشطلت فى مؤلفه"تركيب السلوك"؟ ولماذا وقع اختياره على السلوك أساسًا لهذا النقد؟ ويتفرع عن هذا السؤال المحورى عدة أسئلة فرعية : ما مفهوم "الجشطلت

وكيف تطور عند ماخ وايرنفلس و فرتهايمر؟ و ما طبيعة التفسير الجشطلتى للجهاز العصبى في مقابل التفسير الآلى؟ ما طبيعة الموقف الثالث –خلاف الواقعية و المثالية –الذى ستظهره دراسة السلوك عند ميرلوبونتى؟ وما هى فلسفة الصورة عنده فى ضوء نقده لمفكرى الجشطلت .

اتبعت الباحثة عدة مناهج فى معالجة الموضوع : المنهج التحليلى، و المنهج التركيبى، المنهج المقارن كذلك المنهج التاريخى إن لزم الأمر.

وكتاب ميرلوبونتى بعنوان "تركيب السلوك Structure of Behavior" والتركيب Structure هو المرادف لكلمة "جشطلت Gestalt "الألمانية ،استعمله كوفكا Koffka– أحد مؤسسى علم نفس الجشطلت Gestalt Psychology –فى مقالة باللغة الإنجليزية بعنوان "الإدراك :مدخل لنظرية الجشطلت "Perception : An introduction to the Gestalt-theorie" * .

ذكر ميرلوبونتى "أن النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس Reflex هى تطبيق للتحليل الواقعى وللتفسير العلى "(6) ؛أى أن نظرية الفعل المنعكس تفسر السلوك مثل تفسير الطبيعة فى الاتجاه الواقعى المشار إليه سابقًا على أنه أجزاء منفصلة تربط بينها علاقة العلية ؛ومن ثم كان نقد ميرلوبونتى لنظرية الفعل المنعكس عن السلوك بالذات لأنها أحد تطبيقات الاتجاه الأول، وهو الاتجاه الواقعى فى علاقة الطبيعة بالوعى ، وقد سادت نظرية الفعل المنعكس reflex theory السيكولوجيا و الفسيولوجيا فى عصر ميرلوبونتى؛ لذلك فهو يتقدم لفحصها ونقدها أى أنه يفحص العلم من داخله ولا يقارنه بوجهة نظر أخرى كالفلسفة مثلًا.

ومن ثم سوف يبدأ البحث بعرض مفهوم " الجشطلت" وتطوره ،ثم ينتقل إلى نقد تفسير السلوك فى نظرية الفعل المنعكس، وتقديم تفسير جديد لعمل الجهاز

العصبى تأثر فيه ميرلوبونتى بمفكرى الجشطلت ، ثم عاد فنقدهم وقدم "فلسفة الصورة Form" * ، وستتم معالجة الموضوع كما يلى:

أولًا : "الجشطلت Gestalt ": مفهومه و تطوره:

أ- الإحساس المباشر بالشكل عند ارنست ماخ .

ب- نظرية "صفة الجشطلت Gestalt quality " عند ايرنفلس.

ج - "الجشطلت" لا يعتمد على الإحساس عند ڤرتهايمر.

د- مبادئ التنظيم الإدراكى فى "نظرية الجشطلت" Principles of perceptual organization .

هـ - مبدأ "البساطة" prägnanz و نظرية المجالField Theory.

ثانيًا: الجهاز العصبى بين التفسير الآلى و التفسير الجشطلتى:

أ- التفسير الآلى فى نظرية الفعل المنعكسreflex theory

ب-التصور الكلى holistic للكائن الحىOrganism عند جولدشتاين.

ج-نقد نظرية الفعل المنعكس.

د- تصور "الجشطلت" عند ميرلوبونتى.

هـ- الجهاز العصبىNervous system كتركيب as a structure.

و- العلية الآلية Linear causality و العلية الدائرية circular causality

ثالثًا :نقد ميرلوبونتى لمفكرى الجشطلت :

أ- النظام المادىphysical order والنظام الحيوى vital order و النظام العقلى human order.

ب-فلسفة الصورة Form Philosophy عند ميرلوبونتى (الاتجاه الثالث فى فلسفة ميرلوبونتى).

أولا "الجشطلت Gestalt ":مفهومه و تطوره:

أ-الإحساس المباشر بالشكل أو الصورة عند ارنست ماخ :

فى كتابه عام ١٨٨٦ م والذى ترجم عام ١٨٩٧م بعنوان " analysis of sensations " " تحليل الإحساسات " حاول ارنست ماخ * تفسير حقيقة سماع نفس اللحن رغم تغير النغمات التى يُعزف بها ، فأيًا ما كانت النغمات التى يُعزف بها اللحن أو الآلات والسرعات التى يُعزف بها فنحن ندركه هو نفسه ، كذلك الشكل المستطيل للمنضدة قد يكبر أو يصغر أو يتغير لونه أو لون الدائرة أو المثلث ....إلخ ومع ذلك ندرك نفس شكل المستطيل ، ونفس شكل المثلث ، ونفس الدائرية ...إلخ.

واللحن مثال على شكل أو صورة الزمان time-form، والمستطيل مثال على شكل أو صورة المكان space-form ، وهذه الأشكال هى إحساسات عند ماخ "تدرك مباشرة"(8) ولا نحتاج لنشاط عقلى تركيبى لفهمها، فكما ندرك اللون الأحمر مباشرة بالعين فلدينا إحساس وشعور مباشر بالشكل الذى يُعطى مباشرة برفقة الإحساسات الأخرى، حيث يميز ماخ بين نوعين من المعطى المباشر presentation ففى حالة إدراك المستطيل مثلًا معطى مباشر بصرى هو الخطوط التى يتكون منها المستطيل ومعطى مباشر آخر إضافى لعناصر توجد خارج العناصر المدرَكة بصريًا وهو مُعطى يخص "الشعور العضلى للعين muscular feelings of the eye"(9) الذى هو متطابق فى كل حالة ندرك فيها مستطيل ، ولكى يشرح ماخ هذه الفكرة يذكر مثال تأثير الوضع على إدراك الأشياء ، فالحروف d, b, p, q تمثل نفس الشكل لكن فى أوضاع مختلفة

وهى رغم ذلك تُرى بأشكال مختلفة لأن طريقة عمل عضلات العين وجهدها غير متماثل فى كل حالة، وكما يرافق الشعور بالشكل المكانى الإحساس بالخطوط فى حالة المستطيل كذلك يرافق الشعور بالشكل الزمنى الإحساس بالنغمات ، فقد نجد الألحان التى ليس فيها حتى نغمتين جزئيتين متماثلتين ألحانًا متطابقة ، وندرك الألحان المتشابهة بسهوله أكبر من إدراك النغمات المتشابهة ، وندرك الإيقاع المتشابه بسهولة أكبر من إدراك السرعة التى يُعزف بها ذلك الإيقاع يقول ماخ :" عند فحص شكلين متشابهين لكن مختلفى اللون (مثلا حرفين بنفس الحجم و الشكل لكن بلونين مختلفين) ندرك تطابق الشكل لأول وهلة رغم اختلاف إحساس اللون إذن يجب أن يحوى الإدراك البصرى مكونات حسية متطابقة identical sensation components ، وهذه هى إحساسات الشكل المكانى التى تكون متطابقة فى الحالتين "(10).

إلا أننا وجدنا ايرنفلس Ehrenfels (١٨٥٩- ١٩٣٢) تلميذ برنتانو يصيغ مصطلح "صفة الجشطلت "Gestalt quality ليفسر وحدة اللحن رغم تغير نغماته حيث نجده يتحدث عن تلك الصفة على أنها معطى مباشر من فئة مختلفة عن الإحساسات، وإن كان هو(أى المعطى) يحتاجها لتكون أساسًا له، كما رأينا ڤرتهايمر يعتبر أن كلّا من ماخ وايرنفلس قد عكس طبيعة العلاقة بين الكل و الأجزاء؛ لأن ما يحدث –فى نظر ڤرتهايمر – **فى كل نغمة إنما يعتمد على طبيعة الكل أو اللحن وليس اللحن تابعًا لمجموع نغماته، وفيما يلى عرض لآراء ايرنفلس** و ڤرتهايمر (*)

ب-نظرية "صفة الجشطلت Gestalt quality " عند ايرنفلس

رأى ايرنفلس أن نقطة البدء فى نظرية "صفة الجشطلت "هى محاولة الإجابة عن السؤال ما هو اللحن ؟ الإجابة الواضحة هى أنه مجموعة النغمات الفردية التى يتألف منها لكن حيث يمكن نقل transpose نفس اللحن إلى نغمات مختلفة، فقد ذهب ماخ إلى وجود مجموعة خاصة من الإحساسات التى تصاحب النغمات (كإحساسات سمعية) لكنه لم يعرف كيف يحدد هذه الإحساسات الخاصة ،يقول ايرنفلس : "يمكن أن نحس فقط بما هو حاضر لكن بشكل متزامن واللحن الذى يُعتزف فى زمن لا يمكن أن يكون موضوعًا لهذا الإحساس "(11) ، فالإحساس بالكل فى حالة المكان هو إحساس بنظام معين و ترتيب وتنظيم للعناصر المدرَكة لكن اللحن ممتد فى زمن فكيف يمكن تقسيم ذلك الإحساس بالكل إلى أجزاء يصاحب كل جزء منها كل نغمة **منفصلة** ؟

والخطوة الحاسمة فى تأسيس نظرية "صفة الجشطلت " هى تأكيد ايرنفلس من جانبه على وجود معطى من نوع وفئة جديدة غير الإحساسات بالنغمات هو معطى مباشر موحد unitary لهذه النغمات ،وهو يحتاج هذه النغمات بالضرورة كأساس له كما أنه ليس إحساسًا عضليًا كما فعل ماخ، يتحدث ايرنفلس عن صفة الجشطلت وهى صفة خاصة باللحن تميزه عن مجرد مجموع النغمات المنفصلة ،و لا يوجد اللحن فى أى نغمة بشكل منفصل عن باقى النغمات وهو ليس مجرد تجميع واو العطف للنغمات and-summation ، فإذا كان يمكن أن يكون لدينا مركبين من إحساسات بالنغمات مكونين من نغمات مختلفة كلية لكن ينتجان نفس اللحن ، وكان من الممكن أيضًا أن يكون لدينا مركبين من إحساسات بالنغمات

مكونين من نفس النغمات لكن ينتجان لحنين مختلفين كلية إذن ليس اللحن مجرد مجموع النغمات .

ويتميز اللحن بصفة الجشطلت التى تعتمد على المعطى المركب الخاص بالنغمات الفردية يقول ايرنفلس :"أفهم بصفة الجشطلت محتوى إيجابى لمعطى مباشر لا ينفصل فى الوعى عن حضور مركب من عناصر قابلة للفصل بشكل متبادل (أى يمكن حضورها فى الوعى مباشرة بشكل منفصل عن بعضها البعض)، و أسمى هذا المركب من المعطيات المباشرة الذى هو ضرورى لوجود صفة جشطلت معين' أساسًا Foundation لتلك الصفة "(12).

وتعتمد صفة الجشطلت على مركب المعطيات المباشرة (النغمات) بحيث إذا حضر هذا المركب تُعطى تلك الصفة بطبيعة الحال، ولتفسير ذلك: نفرض أن لدينا سلسلة من النغمات يسمعها شخص واعى وأن هذه النغمات وهى تدوى يسمعها ذلك الشخص كلحن واحد فهو لكى يدرك اللحن الواحد يجب أن يكون لديه انطباع لا عن النغمة التى تدوى الآن فقط بل يجب أن يحتفظ بالسلسلة الكاملة للنغمات السابقة على النغمة الحالية، و هذه السلسلة يتم الاحتفاظ بها فى الذاكرة فى معطى مباشر هو صور الذاكرة memory images و تقابل كل واحدة منها النغمة المفردة الخاصة بها .

لكن لنفرض أن نفس سلسلة النغمات السابقة قد أعطيت كمعطى مباشر لعدد من الأفراد الواعية، لكل منهم نغمة واحدة فهل يختلف الحال لهذه الأفراد عن الحال مع الشخص الواعى الواحد الذى يسمع النغمة الحالية و يحتفظ فى ذاكرته بالنغمات السابقة ؟ أو هل يوجد فى المعطى المباشر لهذا الشخص الواحد أكثر مما فى المعطى المباشر لمجموعة الأشخاص الآخرين ؟ الإجابة أن صور الذاكرة

تلك تعمل كأساس لظهور محتوى معين هو الجشطلت أو الكل الذى لا يظهر إلا فى حضور ذلك الأساس.

يقول ايرنفلس : "كانت الخطوة الحاسمة فى تأسيس نظرية صفة الجشطلت هى التأكيد من جانبى على أنه إذا حضرت صور الذاكرة للنغمات المتتابعة كمركب واعى متزامن simultaneous consciousness–complex إذن هناك معطى مباشر من نوع مختلف يمكن أن ينشأ فى الوعى ، إنه معطى موحدٌ يرتبط بطريقة خاصة بالمعطيات بالمباشرة المتعلقة بمركب النغمات المعنى و ينتمى المعطى المباشر لهذا الكل الموحد لنوع جديد شاع له استعمال اسم محتوى قائم على أساس founded content ، وما هو جوهرى بالنسبة لعلاقة ذلك المحتوى وأساسه هو أنها علاقة تحديد أحادى الجانب للسابق (المحتوى القائم على أساس)من قبل اللاحق (الأساس) "(13).

ج-" الجشطلت "لا يعتمد على الاحساس عند ڤرتهايمر:

بينما اعتمدت صفة الجشطلت عند ايرنفلس على مركب المعطيات المباشرة التى كانت أساسًا له فإننا نجد الإحساس بالكل الموِّحد أو الجشطلت يحدث بدون مثير موضوعى معين عند ڤرتهايمر وهذا ما وجدناه فى ظاهرة الفاى Phi Phenomenon .

فى حجرة مظلمة وضعنا دائرتين صغيرتين على مسافة معينة بينهما ،و فى الدائرتين مصباحان يضيئان ويطفآن بالتتابع ، فإذا كان الفاصل الزمنى بين الإضاءة والإطفاء 60 ملى ثانية رأينا ضوءًا أو كرة تتحرك ذهابًا و إيابًا بين الدائرتين، وإذا كان الفاصل الزمنى بين الإضاءة و الإطفاء 30 ملى ثانية أو أقل

رأينا الضوءين يضيئان فى نفس الوقت أما لو كان الفاصل الزمنى 200 ملى ثانية رأينا ضوءين منفصلين .

إذن لدينا فى حالة الفاصل الزمنى الأول معطيين حسيين منفصلين عن ضوءين منفصلين ولدينا إدراك لضوء واحد يتحرك حركة متصلة ذهابًا وإيابًا، ورغم أننا لا نعطى معطى حسى عن دائرة أو كرة تتحرك فى المسافة بين الضوءين إلا أننا ندرك دائرة أو كرة تتحرك من اليمين لليسار أو العكس أى أن لدينا خبرة ظاهرية غير حقيقية تُعطَى للمشاهد عن الحركة ، والحركة هنا حركة خالصة بدون مثير موضوعى سبب الإحساس بها ،إلا أنها مع ذلك خبرة نشأت عن عناصر محسوسة معينة (رؤية الضوءين) وبالتالى لا يمكن فهم هذه الخبرة بتحليلها لمكوناتها على طريقة فونت Wilhelm Wundt (١٨٣٢-١٩٢٠) (14).

وتعنى كلمة جشطلت Gestalt التركيب أو الترتيب Structure و التنظيم Organization. والمثيرات لدى مدرسة علم نفس الجشطلت –التى أسسها ڤرتهايمر وكوفكا وكولر– إنما تعطى نفسها علي أنها كل أو جشطلت، أى أن الضوءين السابق الإشارة إليهما واللذين تمت إضاءتهما وإطفاؤهما بسرعة معينة، وفى زمن معين إنما يشكلان كلًا منظمًا تتفاعل أجزاؤه ،ويعتمد بعضها على بعض وليست مجرد عناصر منفصلة ،إنها هى ذاتها كل منظم ذو معنى ، متفاعل الأجزاء وعلى هذا الأساس أدركنا حركة كرة متصلة رغم عدم وجود انطباعات عن تلك الكرة ،فالحركة هذه هى إدراك ومعنى هذا الكل بأجزائه فى تلك الظروف ، من ثم فإن هذا الكل هو كل **فنومنولوجى** أى هو خبرة ، فالكل كل فى الخبرة فالدجاجة عند كولر التى دربت على الاستجابة لكومة القمح التى مُيزت بلون رمادى هو الأفتح وجد أنها فيما بعد تستجيب للكومة الأفتح لونًا حتى لو عرض عليها كومتان

للقمح الأغمق فيهما بنفس درجة اللون الأفتح فى الاستجابة السابقة (15)، إذن لم تنحصر استجابة الدجاجة فى درجتين معينتين للون إنما فى العلاقة بين الكومتين أو فى الكل الذى جمعهما معا.

د-مبادئ التنظيم الإدراكى Principles of perceptual organization:

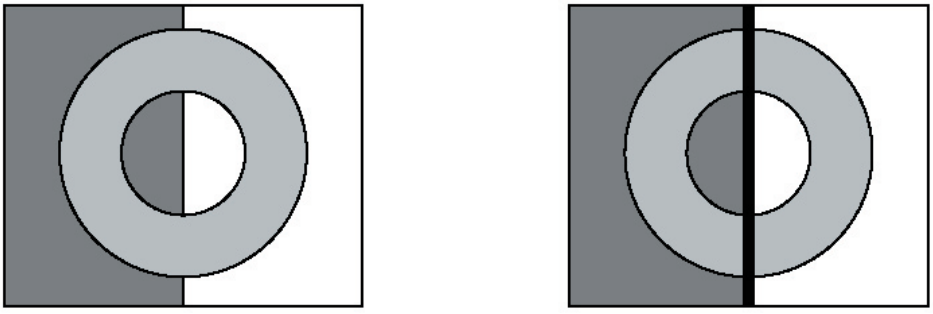

شكل (١)

لقد تأثرت سيكولوجيا الجشطلت بنظرية المجال فى الفيزياء (16) وهى نظرية ترى أن الأشياء داخل المجال ليست منعزلة إنما ترتبط ببعضها البعض و تشكل كلًا غير قابل للانفصال عن أجزائه كذلك الخبرة هى مجال لأجزاء متفاعلة مثلًا الشكل (١) يوضح كيف يعتمد توزيع اللون على التكوين الكلى للشكل، فالمستطيلان متطابقان لكننا فى المستطيل الأيسر ندرك الدائرة داخل المستطيل واللون الرمادى فيها متجانس ،أما فى الدائرة فى المستطيل الأيمن ومع إضافة الخط الأسود فى المنتصف ظهر اللون الرمادى فى نصف الدائرة الأيمن ذو الخلفية البيضاء أغمق من نفس اللون الرمادى فى نصف الدائرة الأيسر ذو الخلفية الرمادية الغامقة ، إذن مكونات الإدراك هى كل تعتمد أجزاؤه وتتفاعل مع بعضها البعض وهذا التفاعل هو الذى خلق هذا المظهر.

وإذا كان الشىء يعرض نفسه فى الوعى ككل أو جشطلت فمن جهة يجب دراسة الظواهر الإدراكية مباشرة وبدون تحليلها أو تقسيمها ؛لأن هذا التقسيم

للجشطلت يفقدنا معنى الظاهرة ذاتها ، والعناصر التى تنتج من تحليل الجشطلت هى نتاج التأمل والتجريد وهى تشتق من الخبرة المباشرة التى علينا العودة إليها وتفسيرها . وبتلك الخبرة المباشرة لن نجد تجمعات من الإحساسات الفردية الذرية على طريقة فونت إنما نجد الشىء كاملًا .

ومن جهة أخرى علينا التوقف عند الطرق التى يتم فيها تجميع الإثارة الحسية فى نموذج أو فى كل له معنى، فالإنسان بطبيعته يدرك العناصر المحسوسة طبقا لمبادئ التنظيم الإدراكى principles of perceptual organization وهى مبادئ أو قوانين حددها علماء نفس الجشطلت لوصف الطرق التى يتم فيها جمع الإثارة الحسية فى نموذج أو فى كل ذو معنى.

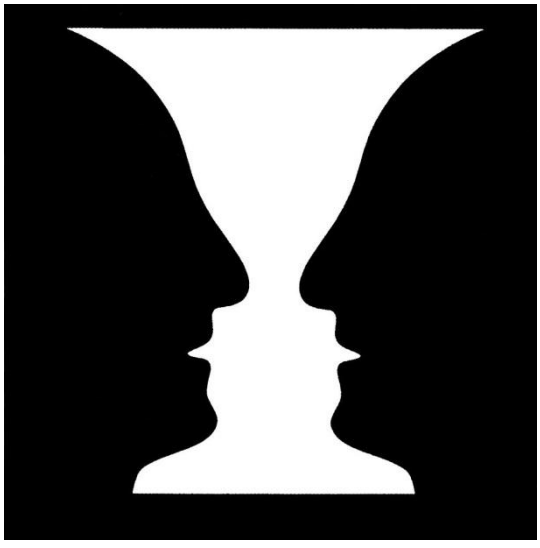

شكل (٢)

من هذه المبادئ مبدأ الشكل– الخلفية figure–ground أى تقسيم المدركات إلى شكل و خلفية : ما أركز عليه هو الشكل والباقى هو الخلفية، فكما هو واضح فى شكل (٢) إذا ركزنا على الكأس الأبيض كانت الخلفية سوداء غير محددة تمتد وراء الشكل المحدد للكأس ،أما إذا ركزنا على الصورة الجانبية للوجهين أسودى اللون اختفى الكأس وكأنه خلفية بيضاء غير محددة ، وإذا رأينا

شكلًا غير كامل نميل بطبيعتنا لإكمال الفراغات وإدراكه حسب مبدأ الإغلاق principle of closure فى صورة كاملة ،فالرسم على يمين شكل(٣)هو لدائرة لا لمجموعة نقاط منحنية .

وحسب مبدأ التقارب principle of proximity نميل لجمع العناصر القريبة من بعضها البعض فى كل واحد، فنحن ندرك الدوائر فى الرسم وسط شكل (٣) على أنها ثلاث مجموعات على هيئة ثلاث مستطيلات موضوعة وضعًا رأسيًا

أما فى الرسم الواقع يسار شكل (٣) فنحن ندرك الدوائر فى صفوف أفقية بسبب التشابه بينها principle of similarity.

أما مبدأ المصير المشترك principle of common fate فوفقًا له نميل لجمع العناصر التى تجرى فى نفس الاتجاه معًا، فما نراه فى شكل (٤) هو خط مستقيم مؤلف من دوائر حمراء وسوداء يقطعه خط منحنى مؤلف أيضا من دوائر حمراء وسوداء وليس شكل للعدد ثمانية كتب مرتين متقابلين عند رأسيهما .

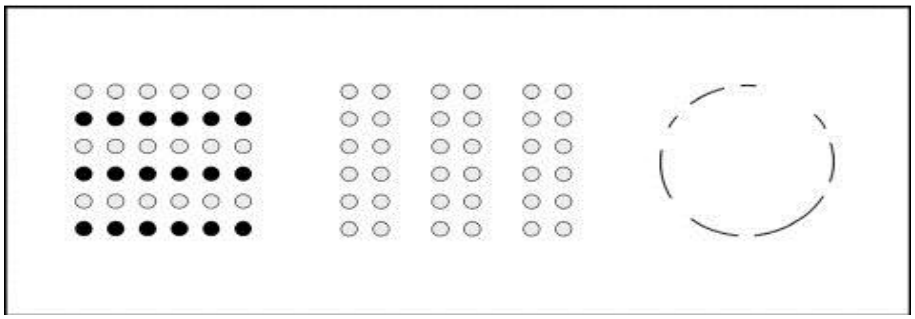

شكل (٣)

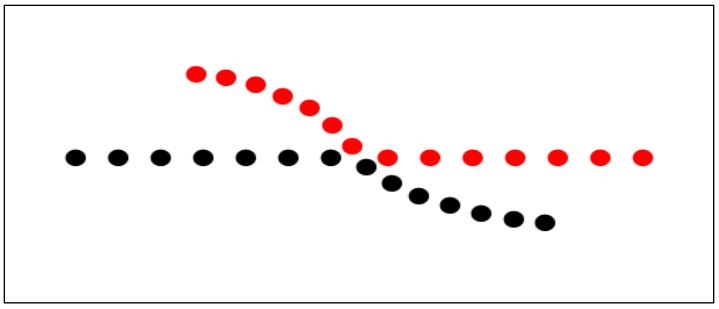

شكل (٤)

هـ-مبدأ البساطة pragnanz:

يعنى أننا نميل لإدراك الأشكال المركبة فى أبسط صورها الممكنة، وهذا الشكل البسيط هو المقابل فى الوعى لاتجاه مجال القوى فى الدماغ لتحقيق التوازن Equilibrium.

كما سبق وأوضح علماء نفس الجشطلت أن الخبرة الفنومنولوجية هى مجال Field من أجزاء متفاعلة وليست مجموعة وحدات (إحساسات) منفصلة غير متفاعلة، وكذلك العمليات الفيزيائية فى الدماغ Brain هى أيضًا مجال من أجزاء متفاعلة، فالدماغ ليس مجرد ترابط حسى حركى (المستقبل الحسى أو عضو الحس

يستقبل الإثارة الحسية وتنقل الإثارة إلى المراكز العصبية فتتحول الإثارة إلى الأعصاب المستجيبة وتنتهى بانقباض العضلات أو إفرازات الغدد) إنما هو مجال كهربى مركب يتشابه فى تركيبه Structure وعلاقة أجزائه مع تركيب الخبرة ،وهذا هو ما يدعى التماثل فى الشكل Isomorphism، أى أن الحقائق السيكولوجية والأحداث فى الدماغ التى تشكل أساسًا لها وتفسرها إنما تتشابه مع بعضها فى سمات التركيب.

يقول كولر :" يوجد جزء واحد فقط من العالم هو الذى تكون عملياته على اتصال وثيق بما يحدث فى الإدراك وهى عمليات قشرة الدماغ التى تفسر كيف يتحول مجرد تلاحق شيئين يعرضان فى أماكن مختلفة *إلى حركة شىء واحد ."(17)

ويقول أيضا : " إذا تحدثنا عن خواص معينة فى مجال الإدراك تشبه خواص عمليات القشرة الدماغية الموازية لها فنحن لا نشير إلى الصفات الحسية حيث لا نجد مثلا صفات أزرق أو أصفر أو أحمر فى العمليات الفسيولوجية للقشرة البصرية للدماغ إنما نشير إلى خصائص تركيبية structural qualities"(18).

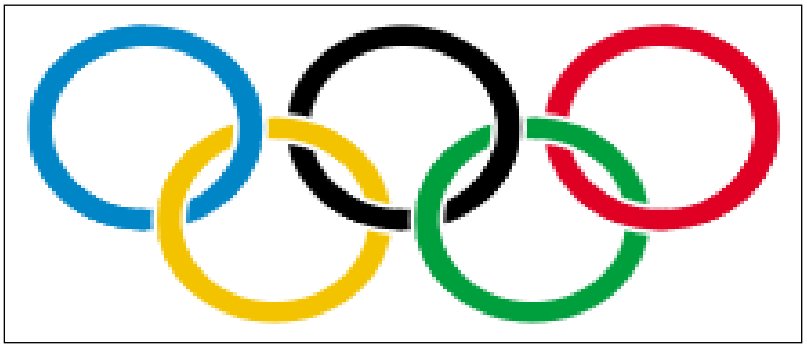

شكل(٥)

إن الدماغ محل لقوى فيزيائية لها خواص المجال، والإثارة الحسية تؤدى إلى تفعيل عمل ذلك المجال ،و إذا كانت القوى المكوِّنة لمجال الدماغ متوازنة كانت العملية مستقرة و بقيت كذلك ، والنتيجة أن الإدراك الناتج عن عملية الدماغ هذه سوف يتطابق بدقة مع الإثارة الحسية ، لكن إذا كانت القوى المكوِّنة لمجال الدماغ غير متوازنة ، فسوف تتغير عملية الدماغ حتى تحقق حالة من التوازن وسوف يوازى هذا التغير أن يصبح الإدراك الناتج أكثر بساطة واتساقًا من الإثارة الحسية الواردة للدماغ (19) كما يصبح غير متطابق مع المثير الحسى، وبالتالى فعملية استعادة التوازن بين قوى مجال الدماغ هى السبب فى الإدراك البسيط أو إدراك الشىء فى أبسط صوره .

فمثلا فى حالة إدراك الدوائر فى شكل (٥) يميل الإنسان بطبيعته لإدراك الشكل على أنه دوائر متداخلة لا على أنه مجموعة خطوط منحنية ، فالإثارة الحسية التى وردت للدماغ أدت إلى عدم توازن بين قوى مجال الدماغ ما أدى إلى تغير فى عملية الدماغ نتج عنه إدراك أكثر بساطة و اتساقًا للمثير الحسى، وهو إدراك الشكل (٥) على أنه دوائر متداخلة لا على أنه خطوط منحنية .

يقول كولر :" إذا وجد كثير من علماء الفيزياء أن توزيع المواد والعمليات فى النظام الفيزيائىphysical System ⋆يميل لأن يصبح منتظمًا regular بسيطًا simple ومتناسقًا symmetrical إذا اقترب النظام من التوازن أو الاستقرار ،و وإذا كان علماء نفس الجشطلت المبكرين وبدون علمهم بسلوك النظام الفيزيائى قد اكتشفوا أن نفس الشىء يحدث مع إدراك الإنسان ، فلماذا يكون التشابه مستحيلا بين الحقيقة الفيزيائية وحقائق الإدراك إذا كانت الحقيقة الفيزيائية التى نتحدث عنها هى عملية فسيولوجية تحدث فى قشرة الدماغ"(20).

ثانيًا الجهاز العصبى بين التفسير الآلى والتفسير الجشطلتي:

أ- نظرية الفعل المنعكس Reflex theory :

ذكر ميرلوبونتى "أن النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس classical theory of the Reflex هى تطبيق للتحليل الواقعى realistic analysis وللتفسير العلى causal explanation " (21)أى أن نظرية الفعل المنعكس تفسر السلوك مثل تفسير الطبيعة فى الاتجاه الواقعى المشار إليه سابقًا على أنه أجزاء منفصلة تربط بينها علاقة العلية ،ومن ثم كانت معالجة ميرلوبونتى لنظرية الفعل المنعكس عن السلوك بالذات لأنها أحد تطبيقات الاتجاه الأول، وهو الاتجاه الواقعى فى علاقة الطبيعة بالوعى وقد سادت نظرية الفعل المنعكس reflex theory السيكولوجيا و الفسيولوجيا فى عصر ميرلوبونتى ؛ لذلك فهو يتقدم لفحصها ونقدها أى أنه يفحص العلم من داخله ولا يقارنه بوجهة نظر أخرى كالفلسفة مثلًا.

وهذا التحليل الواقعى للسلوك سعيًا وراء الموضوعية وتقديم تصور علمى للسلوك قد وضع نفسه فى مواجهة معطيات الوعى العادى الساذج naive consciousness ويشرح ميرلوبونتى ذلك بمثال : فإذا كنت فى غرفة مظلمة وظهرت بقعة ضوء على الحائط وتحركت عليه ، أقول إنها جذبت انتباهى فحولت نظرى إليها وسحبت انتباهى معها فى كل تحركاتها، توجه نظرى نحو الحائط هو سلوك له هدف وهو تتبع بقعة الضوء هذا ما أشعر به كإنسان عادى لكن العلم يرى أن الضوء الذى أراه والقصد الذى أسعى وراءه هى مجرد مظاهر تخفى تحتها حقيقة من نوع آخر هى الضوء الحقيقى real light أو الحركة الاهتزازية التى لا تعطى فى وعيى أبدا، و لن تكون هدفًا يتجه نحوه سلوكى والتى يمكن تصورها كعلة تؤثر فى جسمى(22) .

فالضوء الحقيقى موضوع العلم هو الفاعل الفيزيائى الذى يؤثر فى شبكية العين وحيث إن هذه مؤلفة من طبقات ومن عدة أنواع من الخلايا الحساسة للضوء الخافت أو الشديد فإن المثير وهو الضوء إنما ينحل إلى عدة عمليات يؤثر كل منها فى طبقة أو نوع من أنواع خلايا الشبكية،وكل عملية منها تستمر لفترة من الزمن هى مجموعة حقائق فيزيائية.

ويسقط الضوء على الأشياء فينعكس منها إلى العين ويمر من القرنية الشفافة إلى عدسة العين حيث ينكسر فيتجمع فى الشبكية التى توجد فى مواجهة هذه العدسة فى الجزء الخلفى للعين، وكرد فعل لتأثر الشبكية وخلاياها الحساسة للضوء تعمل عضلات معينة للعين بشكل آلى بحيث تكيف العين نفسها مع حركة الرأس و مع مستوى الإضاءة لتركز على الشيء المرئى وتراه بوضوح . ولن يتم هذا التركيز على الشيء إلا إذا انعكست صورة الشيء المرئى وسط الشبكية بفضل مرونة عضلات العين هذه ، فالإجابة عن السؤال لماذا تكيف العين نفسها على هذا النحو؟ لن تكون "بقصد" رؤية بقعة الضوء؛ لأننا لا نجد القصد و النية فى التحليل العلمى الموضوعى إنما الإجابة لأن هناك ارتباط مسبق بين عضلات العين من جهة وبين الشبكية وخلاياها العصبية من جهة أخرى بحيث إذا نبه الضوء هذه الخلايا أدى ذلك إلى صدور فعل آلى معد مسبقا هو الفعل المنعكس لتثبيت العين على الشيء المرئى.

وكما انحل المثير فى التحليل العلمى الموضوعى للسلوك إلى عدة عمليات خارج بعضها البعض، فكذلك ينحل المستقبل للمثير إلى أجزاء منفصلة خارج بعضها البعض هى خلايا الشبكية وما يرتبط بها من عضلات العين ، ينبه كل جزءًا من المثير جزءا من المستجيب، ويؤلف مجموع الاستجابات المنفصلة

الاستجابة المركبة ، والمستقبل سلبى ينفذ ما يفرضه الفاعل الفيزيائى الكيميائى، فالسلوك إذن هو مجرد مجموعة من الوحدات الذرية المستقل بعضها عن بعض، إنه المجموع الكلى لعدد من الاستجابات الدقيقة التى ترتبط عليًا فى علاقة واحد لواحد مع عدد من التنبيهات الدقيقة (التى يتكون منها المثير) لأن ما يحدث هو إثارة متتابعة لسلسلة من المستقبلين المنفصلين .

على ذلك ينحل سلوك الكائن الحى وعلة هذا السلوك– حسب تلك النظرية الكلاسيكية للسلوك– إلي أجزاء بسيطة خارج بعضها البعض ، بحيث تنتج نفس العلة البسيطة (آخر ما ينتهى إليه نفس تحليل العلة) دائمًا نفس النتيجة البسيطة،و يقول ميرلوبونتى : "بمجرد ما نتوقف عن وضع الثقة فى المعطيات المباشرة للوعى ونحاول تكوين تصور علمى عن الكائن الحى يبدو أننا نصل إلى النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس ،أى إلى تحليل المثير و الاستجابة إلى كثرة من العمليات الجزئية التى تكون خارج بعضها البعض فى المكان و الزمان " (23).

وينتقد ميرلوبونتي النظرية الكلاسيكية للسلوك التى تقوم على فكرة الفعل المنعكس،وترى الكائن الحى أجزاءً وعمليات خارج بعضها البعض ينتقدها مسترشدًا بالاكتشافات العلمية التجريبية خاصة لجولدشتاين * فى كتابه "الكائن الحى The Organism".

ب– <u>التصور الكلى holistic للكائن الحىOrganism عند جولدشتاين:</u>

تأثر ميرلوبونتى بجولدشين،فبينما كان جولدشتاين يدرس حالات الجنود الذين أصيبوا أثناء الحرب العالمية الأولى بإصابات فى الدماغ لاحظ فشل المنهج المعاصر له فى فهم تأثيرالإصابات وتكيف المريض معها فرأى أن هناك منهجًا

جديدًا يلائم دراسة سلوك الكائن الحى الطبيعى و المرضى وهو المنهج الذى يتناول الكائن الحى ككل .

كان المنهج السائد فى البيولوجيا هو منهج التحليل dissecting الذى يستخدم نموذج العلم الطبيعى في الفيزياء و الكيمياء القائم على تقسيم الموضوع إلى أجزاء ودراسة كل منها منفصلًا عن الآخر، وبتطبيق هذا المنهج فى البيولوجيا وجدنا المنهج يصف الكائن الحى على أنه مجموعة مثيرات واستجابات آلية منفصلة "والأساس المثالى لتلك المعرفة هو التجربة التحليلية؛ **لأننا** نعرِّض الكائن الحى فيها لمثير مفرد يؤثر فى عضو واحد ، ونستخدم وسائل متنوعة للتحكم فى الظروف حيث يحدث رد الفعل الذى يلائم هذا المثير المعين وذلك فى عزلة كاملة تقريبًا عن كامل الكائن الحى "(24).

رأى جولدشتاين أن منهج التقسيم هذا سيصلح إذا كان الكائن الحى فعلًا مجموع أجزاء يمكن دراستها منفصلة عن بعضها البعض لكن المنهج لم ينجح ؛لأن الكائن الحى ليس مجرد ذلك المجموع من الأجزاء، إنه كل ، وكل جزء فيه يعمل بصورة طبيعية داخل ذلك الكل ، وستؤدى طريقة الفصل هذه إلى تغيير خواص ووظيفة كل جزء وبالتالى بهذا المنهج لن نكتشف وظيفة الأجزاء فى الحياة الطبيعية .(25)

ويبدأ جولدشتاين من الحقائق التى يقدمها العلم الطبيعى ويفسرها بمنهجه الكلى holistic – الذى أصبح أكثر ملاءمة من منهج التحليل العلمى– ولهذا المنهج الكلى ثلاث مصادرات :عدم تفضيل أى ظاهرة على غيرها عند وصف الكائن الحى، والوصف الصحيح لهذه الظواهر ، وعدم فصل الظاهرة عن كل الكائن الحى وعن البيئة و السياق التى تقع فيه .

ويحاول جولدشتاين بمنهجه الكلى الوصول إلى المعرفة البيولوجية Biological knowledge أى إلى الوصول لفهم الكائن الحى ككل وعلاقته بالبيئة لا على أنه مجموعة منفصلة من عمليات تقع داخل الكائن الحى يقول: " المعرفة البيولوجية هى نشاط خلاق creative activity متواصل تدخل به فكرة الكائن الحى أكثر فأكثر إلى مجال خبرتنا "(26) ،إذ فهم جولدشتاين بمنهجه أن الكائن الحى جشطلت Gestalt مستخدمًا الفكرة من علماء نفس الجشطلت الألمان لكنه اختلف عنهم؛ لأن هذا الجشطلت عنده لم يكن كلًا حقيقيًا موجودًا خارج الفكر إنما كان فكرة Idea هى التنظيم الكيفى qualitative organization للكائن الحى(أى الكل الواحد الذى نفهم فيه مجموعة العمليات) و تأديته لوظيفته ككل holistic functioning "هذه الفكرة التى يزيد تحديدها دقة بينما يتقدم العلم "(27).

فالكائن الحى عند جولدشتاين كل أو جشطلت ذو طبيعة أو تركيب كيفى لا كمى أى لا نفهمه بتجميع وضم أجزائه لبعضها البعض ، إن له تركيب داخلى intrinsic structure كيفى نبلغه بنشاط عقلى معين هو نشاط خلاق creative activity قائم على أساس معطيات تجريبية نصل إليها بمنهج التحليل ،و بهذا النشاط الخلاق نكوِّن **فكرة** عن طبيعة الكائن الحى كجشطلت بالتدريج مع اتساع الخبرة بالظواهر البيولوجية.

إن ذلك التنظيم الكيفى هو المعيار الذى يحدد أى الظواهر– التى يقدمها منهج التحليل العلمى–حقيقة بيولوجية وأيها ليس كذلك ، وهذا التحديد لا نصل إليه بالإستقراء أو الاستنباط إنما بالنشاط الخلاق الذى نسميه ideation تكوين فكرة و الذى نصل فيه –على أساس الحقائق التجريبية– إلى الخبرة بالكائن الحى التى لا تحوى أى شىء غامض لكننا نقترب فيها تدريجيًا

لماهيـة الكـائن الحـى علـى نحـو مـا يحـدث عنـد تعلمنـا مهـارة مثـل ركـوب الدراجة*(28)

يقـول جولدشـتاين: "تعتمـد قيمـة الظـواهر المنفصـلة التـى يقـدمها المـنهج التحليلى في فهم الكائن الحى على تصورنا للأخير، ومن ثم تفقد هذه الظواهر سمة كونهـا حقـائق واضـحة بـذاتها وتصـبح الحقـائق التـى تعتقـد البيولوجيـا أنهـا أسـاس المعرفة مشكوكًا فيها، وبالتالى ثبت فى تاريخ العلم أن كثيرًا من الحقائق لا معنى لها فى تقدم المعرفة ، ويستبعد ذلك الشك الخطأ الموجود عن طريق تمهيد السبيل لوضـع السؤال الأساسـى وهو: أى الظـواهر تعتبـر حقـائق بيولوجيـة وأيهـا لا يعتبـر كذلك؟و مدى الارتباط يحدده فقط تصور الكائن الحى فى تنظيمه الكيفى وفى عمله ككل" (29)

ماهيـة الكـائن الحـى أو طبيعتـه هـى السـمة الأساسـية لـه التـى يـؤثر فقدانهـا علـى هويتـه لا علـى وجـوده، ويتحـدث جولدشـتاين عـن ثوابـت constants**هـذه الطبيعـة أو الماهيـة ويحـددها بأنمـاط السـلوك المفضـل للكـائن الحـى preferred behavior يقـول جولدشـتاين :" يمكننـا دراسـة كـائن حـى فـى وقـت مـا بـالمنهج التحليلـى المعتـاد علـى أنـه مكـون مـن أجـزاء و أعضـاء وفـى وقـت آخـر ندرسـه فـى سلوكه الطبيعى، فلا نجد فى الحالة الأخيرة على الإطلاق كل أنواع السلوك التى نتصـور أنهـا ممكنـة علـى أسـاس الدراسـة الأولـى، وبـدلا عـن ذلـك نجـد فقـط أنواعًـا مختـارة معينـة هـى الموجـودة ،و هـذه الأنـواع هـى مـا سـوف أصـنفها بالسـلوك المفضل"(30)،الكائن الحى كل له أنماط مفضلة من السلوك.

ج- نظرية الفعل المنعكس غير مقبولة على أسس من العلم نفسه وعلينا البحث عن تفسير غير آلى لعمل الجهاز العصبى:

لقد اتضح لميرلوبونتى بالدليل العلمى ذاته أن التفسير الآلى الذرى للسلوك تفسير معيب حيث رأى جولدشتاين وغيره من الفسيولوجيين أن المستقبل الحسى حتى للحيوان إنما يستجيب للمثير ككل لا لعناصره المنفصلة وأن صورة المثير ككل إنما تؤثر فى الاستجابة : فقد يتنوع محتوى المثير بدون أن تتنوع الاستجابة إذا كان لهذا المحتوى نفس التنظيم الزمانى المكانى(أى نفس الصورة).

وفى حالة مقارنة المثيرات وجد أن الصورة أكثر من الطبيعة الفيزيائية هى ما تحدد الفعل المنعكس الناتج ،وهناك أفعال منعكسة مختلفة تحدث اعتمادًا على شكل المثير وطريقة عمله لا على عناصره : فينبسط صيوان أذن القط عند ثنيه ويتحرك هذا الصيوان حركات رعشة قليلة سريعة استجابة للدغدغة ، كما تعتمد طبيعة الاستجابة بشكل كلى على طريقة الإثارة الكهربية إن كانت قوية أم ضعيفة ،وفى أغلب الأحيان لا يمكن التنبؤ بنتيجة المثير المركب على أساس عناصره المكوِّنة (31) .

ومن ثم لايمكن اعتبار تأثير المثير المركب مجرد مجموع لآثار كل عناصره المكوِّنة (ليس المثير مجرد مجموع عناصره) يقول ميرلوبونتى " فى الغالب يؤثر المثير بتنظيمه المكانى وبإيقاعه أكثر مما يؤثر بخواصه الأولية "(32) ، إذن عندما يدرك الانسان المثير لا يدركه إلا ككل له معنى .

ومن جهة أخرى لا نجد فى الحقيقة هذه الروابط الثابتة بين مثير بسيط مفرد و استجابة تحدث دائمًا عنه؛ لأن المثير الأولى لايمكن عزله عن السياق الذى يوجد فيه، واستجابة الحيوان تعتمد على المثيرات الأخرى الحاضرة فى نفس

السياق كما تعتمد أيضًا على المثيرات الماضية التى خضع لها الحيوان وعلى النشاط الحالى الذى يقوم به ، ومن ثم فإن السلوك ليس مجرد مجموعة من الأفعال المنعكسة البسيطة .

ويتذكر ميرلوبونتى أن الفسيولوجيين لم يتمكنوا أبدًا من استبعاد استجابة الكائن الحى من تعريف المثير، والمثال المألوف على ذلك هو "المثير المؤلم painful stimulus"،و هذا التضمين للكائن الحى فى تعريف المثير يعنى أن الكائن الحى يفرض شروطه كمتغير بين المثير المعطى و الاستجابة المتوقعة ،ومن ثم لا يمكن اعتباره سلبيًا (33).

ثم إن النظرية الكلاسيكية قد فشلت فى تفسير النظام Order فى الفعل المنعكس أى علاقة (و تكيف) الاستجابة مع المثير، فحتى لو وجدنا مثيرًا محددًا و مستقبلًا محددًا و أيضا مسارات عصبية محددة ،فهذه كلها لن تفسر تكيف الفعل المنعكس مع المثير حيث تعتمد الحركة المطلوبة فى كل حالة على الوضع الذى تكون عليه الأعضاء وهو وضع يتغير، فمثلًا فى الفعل المنعكس للهرش يعتمد الانقباض العضلى الضرورى لوصول يدى للموضع المثار على إذا ماكانت يدى ممتدة نحو اليمين أو نحو اليسار، فهل نتخيل أن هناك عددًا من المسارات المعدة مقدمًا فى الموضع المخدوش قدر ما هنالك من أوضاع ممكنة لليد ؟ وحتى لو تخيلنا ذلك فمازال غير مفهومًا كيف يختار التدفق العصبى من بين هذه المسارات المسار الذى يسبب الحركة الملائمة فى الموقف المعنى إن لم يكن هناك تناسق وعلاقة بين الموضع أو العضو المثار وبين العضو المستجيب (34).

إذن الفشل فى تفسير تكيف الاستجابة مع المثير من جانب نظرية الفعل المنعكس إنما يرجع إلى تمسكها بالتفسير الآلى العلى "فالآلة قادرة فقط على

العمليات التى أنشئت من أجلها ، وفكرة الآلة القادرة على الاستجابة لمجموعة متنوعة غير محددة من المثيرات هى فكرة متناقضة ؛لأن التشغيل الآلى automation إنما يتحقق فقط بإخضاع عملية التشغيل لشروط معينه يتم انتقائها"(35).

تأكد لنا مما سبق أننا لا نجد الفعل المنعكس الأولى أى المثير المفرد الخالص الذى ينتج دائمًا نفس الاستجابة الحركية ومن ثم لا يُحل الجهاز العصبى للإنسان (الحواس المستقبلة و الأعصاب المستجيبة) إلى مجموعة مسارات فردية منفصلة تربط الحواس المستقبلة بالعضلات المستجيبة، حيث لا تفاعل بين الأولى والثانية وحيث تكون العلاقة بينهما علاقة آلية أحادية الجانب، ومن ثم لاوجود لعلية آلية بين العضو الذى يستقبل الإثارة والعضو المستجيب بحيث تحدث نفس الإثارة دائما نفس الاستجابة ويمكن التنبؤ بالثانية دائمًا من وجود الأولى .

وكما انتقد ميرلوبونتى التفسير الآلى للسلوك انتقد نظرية الإشراط الكلاسيكى classical conditioning لبافلوف * E. Pavlove التى اعتبرها نموذجًا للتفسير الذرى للصور الأعلى للسلوك خاصة التعلم، حيث فسرت هذه النظرية التعلم بسلسلة من المحاولات يقوم بها الحيوان عند وجوده فى مواقف جديدة بهدف الوصول لغاية معينة (فتح القفص مثلا و الحصول على الطعام خارجه) هذه المحاولات ليس بينها وبين الموقف أى علاقة داخلية أو أى قصد، وبالتالى تكون أفعال الإثارة و الاستجابة سلسلة من الأحداث خارج بعضها البعض ليس بينها إلا علاقات التجاور الزمنى المباشر، فالمحاولة التى يصحبها النجاح فى تحقيق الهدف يتم تثبيتها مستقبلًا وتلك التى لم تحققه يتم استبعادها ، وحيث توجد مقدما روابط بين المستقبل و المستجيب يتم استدعاؤها فهذا ما يفسر استدعاء الموقف لمحاولات

جديدة مع فشل المحاولات الأولى ، ومن ثم فمن وجهة نظر نظرية الفعل الشرطى لا يحقق التعلم أو نمو السلوك أى شىء جديد هو فقط ينقل لمثير معين القدرة على إحداث حركات معينة تُعطى شروطها الحركية مقدما (36) .

لكن التعلم بالنسبة لميرلوبونتى ليس مجرد تثبيت لحركات معينة كاستجابة لموقف معين، فالتعلم ليس أبدًا أن تكون قادرًا على تكرار نفس حركة الجسم gesture لكن أن تكون قادرًا على تقديم استجابة متكيفة مع الموقف بطرق مختلفة (لها علاقة بالموقف) مثل القط الذى فتح القفص بسحب الخيط بمخالبه فى أول المحاولات الناجحة لتحقيق الغرض،ثم بعد ذلك سحب الخيط بأسنانه أو بذيله، والطفل الذى تعلم التمييز بين اللونين الأحمر و الأخضر يكون قادرًا بسرعة على التمييز بين أى لونين بل وبين كل الألوان، وبالتالى ليست الاستجابة المكتسبة استجابة تخص موقف فردى معين ؛لأن ما يُكتسب هى القدرة aptitude على حل سلسلة من المشكلات لها نفس الصورة و التركيب ، وهذا ما يحدث فى " التغير العام للسلوك الذى يظهر فى كثرة من الأفعال يتنوع محتواها ويظل معناها ثابتًا " لأن القدرة المكتسبة هى قدرة بالنسبة لتركيب الموقف (37).

"ويجب التغلب على الخارجية المتبادلة الكائن الحى و البيئة.. ومن ثم فإن هناك متضايفين يجب استبدالهما بهذين الحدين(الكائن الحى و البيئة) اللذين تم تحديدهما في عزلة عن بعضهما البعض : البيئة milieu و القدرة aptitude هما قطبان للسلوك ويشاركان فى نفس التركيب (38).

د- تصور الجشطلت Gestalt:

المشكلة فى النظرية الكلاسيكية لتفسير الجهاز العصبى هى عدم قدرتها على تفسير تكيف الاستجابة مع المثير وهذا يرجع لتمسكها بالوسيلة المعدة مسبقًا، والتى تجعل علاقة المثير بالاستجابة علاقة عرضية آلية ،"فمن منظور النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس ليس ذلك التكيف خاصية للأفعال ذاتها لكنه مجرد انطباع تعطيه الأفعال للمشاهد ولا تتحدد الاستجابات بالطبيعة الداخلية للموقف وإنما بأدوات الربط الموجودة مسبقا ....وبالتالى فالعلاقة بين الموقف والاستجابة هي علاقة عرضية بشكل كامل "(39)، وما نحتاجه هو تفسير بديل يسمح بفهم أفضل للجهاز العصبى وارتباط صفات الموقف بالاستجابة و هو ما قدمته نظرية الجشطلت .

لقد وجد ميرلوبونتى فى تصور الجشطلت أو التركيب أو الصورة فى علم نفس الجشطلت تفسيرًا يسمح بفهم أفضل لعلاقة المثير و الاستجابة فى الكائن الحى لا يستبعد إمكانية التكيف والتفاعل بينهما حتى لو كانت مثيرات لم يواجهها الكائن الحى من قبل قط وهو ما عجز عنه التفسير الآلى.

تتكون الصورة Form أو التركيب Structure (حيث يعادل ميرلوبونتى بينهما فى كتاب تركيب السلوك)(40) بالتحديد المتبادل للأجزاء لبعضها البعض ، وعلاقة التفاعل المتبادل داخل الكل هذه هى الأهم وليست الأجزاء : فالأجزاء كلها قد تتغير ويبقى الكل ما هو. ومن ثم إذا تغير جزء تغيرت باقى الأجزاء لأنه لابد من استعادة التوازن؛ أى لابد من وجود علاقة للجزء المتغير مع باقى الأجزاء وهو ما قد يسبب تغير الأجزاء لأجل الاحتفاظ بالكل ، إن الصورة أو التركيب إنما هى كل دينامي نشط فعال لأنها علاقة تبادل حية بين الأجزاء ينظم فيها الكل نفسه

بنفسه ولا يحتاج لما هو خارجه لكى ينظمه ، وهي وحدة فردية لأنه إذا وجدت الصورة وجد التفرد أى وجدت العلاقة المعينة بين الأجزاء هذا ما يدركه التفكير الدائرى Circular thinking لا التفكير الآلى.

و يوجد ترابط داخلى بين أجزاء الصورة أو الكل حيث إنها تتبادل العلاقة مع بعضها البعض بل وتفهم بعضها البعض بحيث تحقق نوعًا من التوازن الكلى الذى يحافظ على وجود الصورة أو التركيب نفسه ، يقول ميرلوبونتى:" تملك الصورة خواصًا أصلية بالنسبة لخواص الأجزاء التى يمكن فصلها عنها ، ويتحدد كل جزء فى الصورة بمجموع الأجزاء الأخرى ، وتعتمد القيمة النسبية للأجزاء على حالة التوازن الكلى الذى تكون صيغته سمة أساسية للصورة " (41) .

المهم فى الصورة هو العلاقة بين الأجزاء التى قد تظل موجودة و تتغير كل خواص الأجزاء تمامًا مثلما يمكن أن تتغير النغمات التى يتكون منها اللحن ويظل اللحن ما هو ، ومن ثم إذا تغيرت خواص أحد الأجزاء فى الصورة تغيرت خواص الكل ، و يتحدد كل جزء بعلاقاته بالأجزاء الأخرى ، وأهميته وفائدته هى دوره فى تحقيق التوازن الكلى الذى يبقى على الصورة نفسها، يقول ميرلوبونتى: " سوف نقول إنه توجد صورة إذا تغيرت خواص نسق ما بأى تغير يحدث فى واحد فقط من الأجزاء ، وعلى العكس توجد صورة إذا بقيت خواص النظام مع تغير خواص الأجزاء وبقاء نفس العلاقة بينها "(42) ،ومن ثم فإن القول إن الكل (السلوك) إنما يتكون من تجميع الأجزاء وهو الأفعال المنعكسة الأولية إنما هو وهم لأن ذلك التجميع إنما يحطم سلسلة التحديدات المتبادلة بين الأجزاء فى كل متماسك(43).

وعلاقة التفاعل المتبادل بين الأجزاء فى التركيب أو الصورة هذه لا توجد فى ذاتها فى الطبيعة إنما توجد بالنسبة للوعى إنها موضوع للوعى ، وتشبه فكرة التركيب فكرة النظام المادى عند ميرلوبونتى الذى يقدم قانون سقوط الأجسام مثالًا على ذلك النظام المادى ؛ فقانون سقوط الأجسام ليس مطلقًا بلا علاقات لأنه يتقيد بسرعة دوران الأرض وبالنظام الشمسى الذى تنتمى إليه الأرض، والنظام المادى إذن مجموعة قوى فى النظام الشمسىSolar System وصلت لحالة توازن ، وفى هذا التوازن يدرك العالِم بعض العلاقات الثابتة التى يلخصها فى أفكار هى القوانين ،إن وعيه هو الذى يفسر معنى العالَم الطبيعى ويكشف تركيبه ويعبر عنه بالقوانين ،وطالما ظلت حالة التوازن بين القوى ظل القانون صالحًا لهذا النظام ، و" يعبر قانون سقوط الأجسام عن تركيب لمجال من القوى الثابتة نسبيًا فى محيط الأرض، وسوف يظل القانون صالحًا فقط طالما بقى التركيب الكوزمولوجى الذى تأسس عليه القانون"(44).

ويقول ميرلوبونتى: "التركيب هو انضمام joining فكرة an idea لوجود an existence وهما لا يتميزان "(45) ويقول عن الصورة أو التركيب : "إنها الفكرة التى نجمع تحتها معًا ما حدث فى أماكن عديدة و نلخصه "(46) ؛ معنى ذلك أن الأفكار التى يضعها العالِم إنما يضعها على أساس الإدراك المتكرر لعلاقات معينة بين أجزاء (قوى) ترتبط كلها و تتبادل العلاقة فى كل ينظم نفسه بنفسه مما يسمح للعالِم بأن يلخص هذه العلاقات فى فكرة هى معنى علاقات الأجزاء فى كل ، فالعلاقات الواقعية الفعلية هى ما يجعل الفكرة ممكنة لكن الفكرة ليست مثل مقولات كانط القبلية الخالصة* (من أى مادة حسية) التى تلغى الوجود الفعلى فهى

فكرة لابد أن تتحقق فى مادة حسية لأنها الفكرة التى تتخذها هذه المادة فى الإدراك، والفكرة فى الإدراك ومن ثم فالجشطلت ظاهرى.

الجشطلت هو الكل الذى هو ليس أكثر من مجموع الأجزاء لكنه يتركب من الأجزاء بحيث لا يمكن أن يُرد إليها : الجشطلت ليس أكثر من الأجزاء ؛ لأن الوعى المدرِك يكتشف معنى علاقات الأجزاء نفسها ولا يحتاج لما هو خارجها ، والجشطلت لا يرد للأجزاء ؛ لأنه لا يستقل عن الوعى الذى يكتشف المعنى ، والجشطلت لا يرد للمادة التى يتحقق فيها؛ لأنه لا يوجد بشكل مستقل عن الوعى المدرِك، فالوعى لا يضيف الجشطلت للمادة الحسية من لا شىء لأنه يكتشف فيها التركيب هى نفسها، وحين يكتشف هذا المعنى أو التركيب فهو(أى الوعى) لا يكون فعالًا بشكل كامل (لأنه لايفعل إلا فهم الأجزاء التى يتقيد بها) كما أن الوعى فى ذلك الاكتشاف لا يكون سلبيًا بشكل كامل (لأنه يعمل عملًا ما هو الاكتشاف)(47).

هـ-الجهاز العصبى Nervous system يعمل كوحدة unit و كتركيب structure :

استعار ميرلوبونتى الجشطلت من مدرسة الجشطلت حيث وجد كولر يتحدث عن الكل الذى يشمل العضو المستقبل والآخر المستجيب فى الجهاز العصبى ، ليس الكائن الحى كتلة مادية مؤلفة من أجزاء خارج بعضها البعض هى المستقبل والمستجيب فمعنى المثير بالنسبة للكائن الحى إنما هو نشاطه أو هو نفسه استجابته و حركته تجاه هذا المثير ومن ثم فالإدراك و الحركة فى الكائن الحى إنما يتبادلان العلاقة و يؤلفان كلًا و من ثم يجب أن ندرس الجهاز العصبى على أنه يعمل ككل أو كوحدة أو كصورة form أو تركيب يتفاعل فيها ويتبادل الجزءان

الحسى(الذى يستقبل التنبيهات الداخلية والخارجية) و الحركى (الذى يستجيب لتلك التأثيرات) العلاقة ، فالجسم الحى الذى ليس آلة مؤلفة من جزءين مستقلين عن بعضهما البعض (حسى وحركى) تقيدهما مسارات مُعدة مسبقًا ينتقل فيها التنبيه من الأول إلى الثاني بطريقة آلية إنما هو صورة و تركيب (كل لا يحلل إلى أجزائه المستقلة) ينظم نفسه بنفسه.

وكما تحدث علماء نفس الجشطلت عن استعادة التوازن بين القوى فى مجال العملية الفيزيائية بعد حدوث التوتر الناتج عن مثير خارجى* يرى ميرلوبونتى أن الجهاز العصبى يميل لاستعادة التوازن المفضل preferred equilibrium حيث تميل القوى التى تعمل فى الجزء الحسى منه نحو تحقيق التوازن (بعد حدوث التوتر بسبب مثير خارجى) ويساعدها فى ذلك الجزء الحركى من نفس الجهاز العصبى ، وما محاولة استعادة التوازن إلا تعبير عن التفاعل بين داخل الكائن الحى (الحالة الداخلية للكائن الحى) وبين تأثير العوامل الخارجية، ومن هنا كان قول ميرلوبونتى " يجب أن نعتبر الجزء المستقبل للجهاز العصبى مجالًا للقوى يعبر بشكل متزامن عن الحالة داخل الكائن الحى وعن تأثير العوامل الخارجية، وتميل هذه القوى لأن توازن نفسها طبقا لأنماط معينة من التوزيع المفضل كما تميل لاستصدار حركات من الأجزاء المتحركة من الجسم ملائمة لهذا الأثر للعوامل الخارجية ، وهذه الحركات بينما يتم تنفيذها تحدث تغيرات فى الجزء الحسى وهى ما تحدث بدورها حركات جديدة و سوف تؤكد هذه العملية الديناميكية والدائرية على التنظيم المرن المطلوب لأجل تفسير السلوك الفعلى "(48).

ويشرح ميرلوبونتى ذلك بمثال حيث يقول :"من المعروف أن العين تضع نفسها دائمًا بحيث تستقبل أعظم إثارة ممكنة من الشىء الذى تنظر إليه، ويحدث

كل شيء كما لو أن قانون الأقصى maximum هو الذى ينظم حركات العين، وكما لو كانت هذه الحركات هى ما يجب أن يوجد فى كل لحظة لكى نحقق مواقف معينة من التوازن المفضل الذى تتجه إليه القوى التى تعمل فى الجزء الحسى من الجهاز العصبى ، فإذا ظهرت بقعة مضيئة فى الظلام فى منطقة هامشية فإنه يحدث كل شيء كما لو كان توازن الجهاز الحسى–الحركى قد تبدد، و من ثم تنشأ حالة من **التوتر** tension التى تزول **بحركة** تثبيت العين التى تأتى بالبقعة المضيئة فى مركز شبكية العين .ومن ثم يظهر الجزء الحركى من الجهازالعصبى كوسيلة لإعادة التوازن الذى يقدم شروطه الجزء الحسى (49) .

والخنفساء Dung Beetle تتمكن بعد بتر عظام أحد أرجلها من المشى مباشرة بإعادة تنظيم العلاقة بين أجزاء جسمها، وبين جسمها و البيئة المحيطة بها ، وإعادة التنظيم هذه لا تحدث بشكل آلى لكن بضغط الظروف الخارجية فإذا كان السطح خشنًا احتفظت الخنفساء بالعملية الطبيعية للمشى رغم قصر الرجل التى بترت إحدى عظامها ،وإذا كان السطح ناعمًا بعدت عن تلك العملية ، فالخنفساء لا تعمل بشكل أعمى آلى وليس لديها فكر و لا عقل ورغم ذلك فهمت معنى الموقف الذى توجد فيه ، و فى حالات الأشخاص الذين يعانون من العمى الشقى hemianopia – أى العمى فى نصف المجال البصرى لعين واحدة أو للعينين – نجد الشخص لا يرى فقط نصف مجاله البصرى مع هامش فارغ إنما يرى المجال كاملًا لكن بشكل ردىء ؛ لأن الكائن الحى يحافظ على صورته أو تركيبه، فيحاول إعادة التوازن بعد الاختلال الذى يحدث مع هذا المرض فيعيد ضبط وظيفة بعض أجزاء العين بعد الاختلال أو التعطل فى البعض الآخر، فتتأرجح العين بحيث

يكون الجزء الحساس للضوء هو فى المركز ، يقول ميرلوبونتى: " الكائن الحى يكيف نفسه للموقف الذى خلقه المرض بإعادة ضبط وظائف العين" (50).

والحيوان الذى لا يستطيع أن يمسك بطعامه بعد بتر جزئى لجزء الدماغ المتعلق بوظيفة الإمساك هذه يستعيد الوظيفة باستبدال العضو الأيسر بدل الأيمن ، وإعادة تنظيم العلاقة بين أجزاء الجسم و بين البيئة و استبدال عضو بآخر أمور تحدث بطريقة خاصة فقط إذا كانت منفعة حيوية معرضة للخطر، وهذا يعنى أنها تمثل وسيلة لاستعادة التوازن لكل الجهاز العصبى ،كما أن هذه الأمور لا تحقق مرونة الاستجابات التى تسمى واعية " وهنا ينكشف لنا نشاط مباشر بين الآلية العمياء وبين السلوك العقلى وهو ما لم يفسره المذهبان المادى و العقلى الكلاسيكيين "(51).

الجهاز العصبى كل ووحدة واحدة لا يتركب من أجزاء منفصلة تترابط بقواعد العلية الآلية، ويعنى ذلك وجود علية دائرية بين إدراك الكائن الحى للمثير و بين الحركة التى يصدرها كرد فعل على هذه الإثارة ، وهذا ما أكد عليه ميرلوبونتى، فهو يرفض العلاقة الآلية الخارجية العرضية بين الموقف و الاستجابة و أن يتدخل الموقف كفاعلية تضغط على الزر وتجعل الآلة تعمل.

و- العلية الآلية و العلية الدائرية Linear causality and Circular causality:

تختلف علاقة العلية الآلية عن علاقة العلية الدائرية حيث توجد فى الثانية علاقة داخلية وتفاعل داخلى بين الأجزاء خلاف العلاقة الأولى التى لا تكون إلا أحادية الجانب uni-directional و التفكير الآلى غير التفكير الدائرى، فالأول : يعالج الكل على أنه قابل للتحليل إلى أجزاء خارج بعضها البعض قد

تتغير أو تفنى دون أن تتأثر الأجزاء الأخرى ، وبالتالى فالكائن الحى فى هذه العلية إنما يكون مؤلفا من مجموعة مستقبلين يستجيب الواحد منهم تلو الآخر لخاصية من خواص المثير المتكثرة أيضًا ، و تتألف الإثارة المركبة من مجموعة المثيرات المتميزة ، كما تتألف الاستجابة المركبة من مجموعة الاستجابات المتميزة ، أما التفكير الدائرى فيرى للكل طبيعة و خواص لا تُرد لخواص الأجزاء التى يتألف منها أى يرى له صورة form أو تركيب structure وهو التصور الذى استعاره ميرلوبونتى من علم نفس الجشطلت .

على ذلك يمكن أن نقول إن العلة (س) والمعلول (ص) يكونان فى علاقة علية آلية فى حالة ما إذا:

أ- كانت (س) تحدد وتسبب (ص) لكن (ص) لا تحدد و لا تسبب (س) (ومن ثم فالعلاقة بينهما أحادية الجانب) .

ب- وإذا كان كل مكون فى (س) – التى تؤثر عليًا فى (ص)- إنما يقف فى علاقة اقتران واحد لواحد مع مكون ناتج عن ذلك التأثر العلى فى (ص)

وتكون العلة (س) والمعلول (ص) فى علاقة علية الدائرية:

أ- حينما يكون هناك اعتماد متبادل وتفاعل متبادل أو يكون هناك علاقة ديناميكية بينهما . (س) تحدد (ص) و (ص) تحدد (س) ، (س) تجعل (ص) ما هى عليه ، و (ص) بالتبادل تجعل (س) ما هى عليه .

فى هذه العلاقة الدائرية (س) لا تتأثر وتتعدل فقط ب (ص)(أو بأى ص) لكن (س) تتأثر ب (ص) من حيث (س) هى المحدد ل (ص) ؛ أى من حيث (س) تتبادل العلاقة ب (ص) ومن ثم من حيث أن (ص) أيضا تتحدد ب (س) ، و بمعنى آخر (س) تتأثر ب (ص) وهى نفسها كما

تتلقى منها التأثير فإنها ترد فتحدد وتؤثر فيها (أى فى ص) بالمقابل .

و(ص) فى هذه العلاقة المتبادلة لا تتأثر بأى (س) لكن ب (س) من حيث هى (أى ص) هى التى تحدد (س) ، (ص) تتأثر ب (س) وهى نفسها كما تتلقى منها التأثير فإنها ترد فتحدد وتؤثر فيها (أى فى س) بالمقابل .

ب- (س) تجعل (س) ما هى عليه بواسطة (ص) ، و (ص) تجعل (ص) ما هى عليه بواسطة (س) : (س) تحدد نفسها خلال تحديدها ل (ص) التى هى محدد ل (س) ، و (ص) تحدد نفسها خلال تحديدها ل(س) التى هى محدد ل (ص) ، يتضح من ذلك أن (س) و (ص) فى هذه العلاقة الجدلية إنما يؤلفان كلًا واحدًا.

ج- يتضح أيضا أن (س) تعتمد على (ص) فى وجودها وطبيعتها ، كما أن (ص) تعتمد على (س) فى وجودها وطبيعتها : فرغم أن (س) ليست (ص) و (ص) ليست (س) فإن وجود (س) وكون (س) هى (س) إنما يعتمد على كل من : كون (س) ليست (ص) وعلى وجود (ص) ،

كذلك يعتمد وجود (ص) وكون (ص) هى (ص) على كل من : كون (ص) ليست (س) وعلى وجود (س) (52).

ثالثًا–نقد ميرلوبونتى لمفكرى الجشطلت:

أ– النظام المادىphysical order والنظام الحيوى vital order و النظام العقلىhuman order :

هناك تشابه بين كل من النظام المادى و الجهاز العصبى حيث نجد فى كل منهما الاتجاه نحو حالة من التوازن كما نجد العلاقة الدائرية أو الاعتماد المتبادل بين الظواهر، وما يحدث فى كل جزء منهما (أى الجهاز العصبى أو النظام المادى) إنما يتحدد بما يحدث فى الأجزاء الأخرى ،وهذا هو تعريف النظام أى أن **كليهما تركيب** " ففكرة النظام المادى هى فكرة مجموعة من القوى فى حالة توازن أو تغير دائم بحيث لا يمكن صياغة قاعدة لأى قوة بمعزل عن القوى الأخرى ، ومن ثم سوف يترجم أى تغير موضعى فى الصورة بإعادة توزيع القوى الذى يضمن استقرار علاقة هذه القوى . وإن هذه الدائرية الداخلية لهى النظام كحقيقة فيزيائية ، هذا النظام لا يتكون من الأجزاء التى يمكن تمييزها منه أكثر من تكون اللحن (القابل للنقل دائما) من النغمات الجزئية التى هى التعبير المؤقت عنه، وتكون هذه الصورة الفيزيائية فردًا individual بامتلاكها الوحدة الداخلية الموجودة فى جزء من المكان وبمقاومتها التشويه من التأثيرات الخارجية بفضل عليتها الدائرية " (53)، كذلك الحال مع الظواهر العصبية حيث توجد علية دائرية بين إدراك الكائن الحى للمثير وبين الحركة التى يصدرها كرد فعل على هذه الإثارة .

لكن يختلف التركيب فى النظام المادى عنه فى الجهاز العصبى للكائن الحى حيث تؤثر البيئة على الشىء تأثير العلة على المعلول من جانب واحد هو جانب العلة ، و لاسلطة للشىء على هذه الظروف " فالظروف الخارجية أو الضغط الخارجى على فقاعة الصابون soap bubble الذى يدفعها إلى الشكل

الدائرى –ومن ثم للتوازن و الاستقرار "(54) لا دخل للفقاعه فى عمله ، أما مع الكائن الحى فالحال مختلف فعلاقة الكائن الحى بالبيئة علاقة جدلية : المثير لا يؤثر على الكائن الحى كعلة إنما يعمل كمناسبة ، واستجابات الكائن الحى لا تعتمد على الصفات المادية الكيميائية للمثير ولا على التركيب الفسيولوجى لجهاز الإحساس إنما على الاندماج الحسى الحركى للكائن الحى فى البيئة ، ويتيح المثير مجموعة استجابات كلية (أى استجابة للمثير ككل) ممكنة تحددها الميول الحسية الحركية للكائن الحى (عتبة الاحساس و الحركة ..إلخ) ، الميول التى هى قواعد لنشاط الكائن الحى ، فعلاقة الكائن الحى بالبيئة إذن علاقة بين كيانين غير منفصلين هما الموقف الحيوى vital situation (الذى له معنى حيوى للكائن الحى) و القدرة aptitude (التى يكتسبها الكائن الحى على حل المشكلات من نفس الصورة أو التركيب) .

هناك أيضًا **التركيب** الإنسانىHuman order الذى يتميز بالسلوك الرمزى حيث يتحدث ميرلوبونتى عن ثلاثة أنواع من السلوك اثنان يخصان التركيب الحيوى هما السلوك الغريزى syncretic والسلوك القابل للانفصال عن مادة الموقف detachable والثالث هو السلوك الرمزى symbolic الخاص بالإنسان.

ويشبه السلوك الغريزى السلوك الذى وصفته نظرية الفعل المنعكس لكن مع الفارق هو وجود علاقة داخلية بين الموقف و الاستجابة فى السلوك الغريزى لا توجد في الفعل المنعكس ، و من ثم "**لايمكن أن نرد الثنائى الموقف الحيوى – الاستجابة الغريزية vital situation–instinctive reaction** للثنائى مثير– فعل منعكس stimulus–reflex ؛ لأن بالأول علاقة داخلية لا توجد فى

العلاقة الخطية من العلة للمعلول بوصفهما أجزاء مستقلة عن بعضها البعض " (55).

يقول ميرلوبونتى : "فى هذا المستوي (الغريزى) يكون السلوك حبيسًا لإطار الظروف الطبيعية وتعامل المواقف غير المتوقعه فقط كإشارة غير مباشرة للمواقف الحيوية المفروضة عليه " فالضفدع toad إذا وضعت أمامه دودة الأرضearthworm لكن فصلت عنه بلوح زجاجى يثابر فى محاولات الإمساك بها رغم فشله المتكرر الذى كان يجب أن يمنعه عن المحاولة ذلك لأن غريزته تفرض عليه القيام بمحاولات متكررة عند مواجهة هدف متحرك (56) .

فى هذا السلوك الغريزى يتقيد الكائن الحى بالظروف الطبيعية التى تصدر فيها أفعاله الغريزية (لا بالمواقف الحيوية حسب حالتها الفردية) فيتصرف فى أى موقف يشبه هذه الظروف بنفس الطريقة دون محاولة التكيف مع الموقف الجديد ، والسلوك الغريزى هو إذن استجابة لا لخواص معينة تتعلق بموقف مفرد يوجد بالفعل لكنه استجابة لمجموعة مواقف متشابهة ولمجموعة من المثيرات .

الكائن الحى فى هذا السلوك كأنه مبرمج (57) للقيام بسلوك معين بغض النظر عن الصفات الفردية الخاصة للموقف الذى يوجد فيه وبدون مراعاة تنوع البيئات التى يمكن أن يسلك فيها، ومن يبحث فى السلوك الغريزى سيجد أن المثير ليس شيئًا واقعيًا لكنه جانب مجرد للشيء فما يسبب.– السلوك الهجومى للعنكبوت أى المثير الذى يفهمه العنكبوت كفريسة يلتقطها هو ذبذبات معينة للشبكية تحدثها حركات الذبابة ، وإذا وضعت الذبابة فى شبكة العنكبوت ولم يصدر منها ذبذبات فلن يعاملها العنكبوت كفريسة بينما تسبب الذبذبات الصادرة عن شوكة رنانة سلوكًا هجوميًا للعنكبوت . الكائن الحى فى السلوك الغريزى syncretic يُستغرق تمامًا

فى المواقف الواقعية التى يحقق فيها غرائزه ولا يتخارج عنها ولا يعيها من الخارج عكس السلوك القابل للفصل عن مادة الموقف detachable ، حيث الحيوان لا يكون مستغرقًا فى الموقف الواقعى، ويفهم البيئة على أن لها معنى وذلك بفهمه بعض العلاقات المضمنة فى هذا الموقف الواقعى مثل الدجاج الذى درب على أن يختار القمح الذى وضع فى الإناء الرمادى الفاتح(١) ويترك الإناء ذو اللون الرمادى الوسط (٢) ، ثم يستبدل الإناء الأخير بآخر(٣) أفتح لونًا من الإناء الأول(١) ، فإذا بالدجاج يختار الأناء الأفتح لونًا (٣) ،واستجابة الدجاج هنا ليست لدرجة معينة من اللون إنما "العلاقة الأفتح" أى هى استجابة لموقف يشمل علاقة بين درجتين للون أحدهما أفتح من الأخرى ، و الموقف له معنى هو هذه العلاقة المتبادلة بين الدرجتين للون .

وأصبحت علاقة "الأفتح لونًا" تقف الآن وسطًا بين الحيوان و بين البيئة، فالحيوان يفكر فى البيئة و يقصدها بواسطة هذه العلامة لكن رغم أن سلوكه ينفصل عن مادة الموقف الفعلى إلا أنه لم يتجرد عنه كليةً إذ مازال يعامل الموقف على أن به معنى حيوى بالنسبة له .

ومع الانسان نجد تركيبا سلوكيًا جديدًا أو جدلًا جديدًا بين الموقف المدرَك perceived situation وبين العمل work ، فعلى خلاف الحيوان الذى يكوِّن بيئة بيولوجية ثابتة نسبيًا تتناسب مع ميوله الحسية الحركية ، فالإنسان يكوِّن بيئة ثقافية دينامية تتناسب مع قدرته على تنويع وجهات النظر(58) ، فالشمبانزى (١) قد تعلم أن يستخدم الصندوق كأداة للوصول إلى الموز المعلق والشمبانزى (٢) وضع عصا ذات ثخانة أقل داخل أخرى ذات ثخانة أكبر ليصنع عصا طويلة يتمكن بها من الوصول لطعام وضع بعيدًا عن القفص الذى كان فيه ، ولم يستخدم

الشمبانزى (١) ذلك الصندوق لغرض الصعود بعد أن رأى شمبانزى ثالث يجلس على نفس الصندوق ، إنه لم يتمكن إلا من إدراك الصندوق داخل سياق معين فلم يدرك الجوانب المختلفة والمنظورات المختلفة لنفس الصندوق التى يمكنه الاختيار من بينها ، فمعنى المقعد عنده هو الجلوس عليه أو معناه استخدامه كأداة للصعود عليه للحصول على الموز المعلق ، ولن يوجد المعنى الثانى إلا إذا توقف المعنى الأول.

الصندوق وسيلة واحدة لغرض واحد فقط ، فالشمبانزى فسر الصندوق فقط داخل تركيب الموقف ولم يتمكن من تصور الصندوق كشىء عام يتغير استخدامه مع تغير المواقف و لم يدرك الصندوق بخواصه المادية بعيدًا عن أى موقف أو سياق معين ، أى لم يفهم الصندوق" كشىء thing بمعنى وحدة واقعية قادرة على الدخول فى كثرة من العلاقات دون أن تفقد نفسها "(59).

أما فى حالة الإنسان فالشىء علامة تحمل جوانب و منظورات و معانى مختلفة فى نفس الوقت بحيث يمكن الانتقال بينها بحرية فيكون هذا الصندوق الذى نجلس عليه هو نفس الصندوق الذى نستخدمه أداة للصعود عليه أو نستخدمه كخزانة إلخ.

فإذا كان الحيوان يستجيب للعلامة Sign (مثل "الأفتح لونًا " التى رأيناها مع الدجاج) و العلامة ترتبط بحدث معين تمثله، فإن الإنسان يسلك طبقا للرموز، والرمز لا يرتبط بحدث أو بشىء إنما برمز آخر، فعازف البيانو بعزفه على أصابع البيانو يكوِّن كلًا يوحد الآلة الموسيقية والموسيقى المكتوبة وحركات يده، إنه بعزفه يحقق معنى الموقف الموسيقى ككل أى يصبح هو بالعزف فنانًا وتصبح القطعة الموسيقية قطعة فنية و ليست مجرد قطعة من الورق عليها رموز وتصبح الآلة بيانو، والعازف بذلك لا يستجيب للعالم فقط إنما يغيره ويمنحه معنى جديدًا ؛لأنه

يحول قطعة الورق لشيء خلاف نفسها أى يحولها لعمل فنى، و علاقة الفنان بالآلة وبقطعة الموسيقى علاقة جدلية وسلوكه سلوك حر خلاق، **فالرمز Symbol** علامة بدلًا من أن تكون له علاقة تجريبية بشئ أو حدث تمثله يمكن أن يرتبط أشياء أخرى ، فبقدر ما يمثل الرمز أشياء أخرى شبيهة فهو علامة مثل البيانو إذ هو الذى يمثل كل بيانو، كذلك تمثل قطعة الموسيقى كل قطعة أخرى ، وبهذا المعنى فالسلوك الرمزى symbolic behavior يمكننا من فهم الثابت فى ظل متنوَع من المنظورات .

ب-فلسفة الصورة Form عند ميرلوبونتى (الاتجاه الثالث فى فلسفته):

وإذا كان ميرلوبونتى قد أشار إلى الاتجاهات السائدة فى فرنسا : الاتجاه الواقعى والاتجاه المثالى*حيث الأول يرى العالم موجودًا بدون تدخل من الذات ، والثانى يرى الوعى مكوِّنا للطبيعة فإنه يرى الاتجاهين مشتركين فى أن كل منهما أحد صور الموقف الطبيعى natural attitude الذى يسميه التفكير الموضوعى objectivist thinking ، وهو ما يرد كل الظواهر (الأشياء على نحو ما هى فى الوعى) التى تشهد على وحدة الذات بالعالم واضعًا محلها فكرة الشيء كشيء فى ذاته as in itself والذات كوعى خالص the subject as pure consciousness قاطعًا بذلك الروابط التى توحدَّ الشيء و الذات المتجسدة embodied subject ، وبالتالى يسعى ميرلوبونتى فى الاتجاه الثالث الذى اتخذه أن يستعيد تلك الروابط وأن **يستبدل الظواهر بالطبيعة** (60).

هذا الاتجاه الثالث هو فلسفة الصورة Form التى سوف تحل محل فلسفة الجوهر Substance فالصورة ليست شيئًا أو جوهرًا فلا توجد مستقلة عن الوعى ،" إنها تحدث عند اتصال الذات بالعالَم فى الإدراك ، إنها الصور التى يتخذها العالَم

فى الإدراك وتدل على هذه الحقيقة طبيعة الصورة باعتبارها الكل الذى ليس أكثر من مجرد مجموع الأجزاء المكوِّنة له، ومع ذلك يتألف منها بحيث لا يُرد إليها ، و الصورة لا هى موضوعية تمامًا ولا يخلقها الوعى من لا شىء ، وحيث لا توجد الصورة مستقلة عن الوعى الموجود فى العالَم فالوعى المدرِك perceptual consciousness هو البيئة الكلية universal milieu لأن أى حقيقة وأى شىء إنما يتكشف لنا فى أفعال الإدراك (61) .

بالمقابل وجدنا علماء نفس الجشطلت" لم يفكروا طبقًا للصورة إذ اعتبروها شيئًا موجودًا بالعالم المادى الذى هو البيئة الكلية بالنسبة لهم ، لقد تمسك علماء نفس الجشطلت بالمصادرات الواقعية realistic postulates التى هى مصادرات كل سيكولوجيا فاستبدلوا البيئة السلوكية* behavioral environment ببعض الأحداث فى الكائن الحى الحقيقى المادى ،ومن ثم اعتبروا الوعى مجموعة أحداث مادية تحدث فى الدماغ ؛ لأن البيئة الجغرافية geographical environment تنتمى لعالم المادة (62) ويجب أن تكون نتائجها أيضًا فى عالم المادة ، أى ردوا الكل الذى نجده فى الإدراك (الأشجار – السحب ..الخ) إلى أحداث و عمليات تركيبية structural مادية تحدث فى الدماغ ، وهذا بغض النظر عن معنى البيئة الجغرافية فى الكائن الحى وتفاعله معها بل وتكوينه للبيئة السلوكية .

ففى الوقت الذى فسرت فيه المدرسة السلوكية السلوك بالفسيولوجيا يجمع كوفكا بين الفسيولوجيا وعلم النفس يقول كوفكا تحت عنوان " حل ڤرتهايمر ، تماثل الشكل "Wertheimer solution,Isomorphism " " فى كتابه " مبادئ علم نفس الجشطلت " "Principles of Gestalt psychology : "لقد تأثرت بالافتراض الفسيولوجى لڤرتهايمر، فما قاله هو: دعنا نتصور العمليات الفسيولوجية

ظـواهر كليـة لا ظـواهر جزيئيـة، و إذا فعلنـا ذلـك فسـوف تختفـى كـل صـعوبات النظريـة القديمـة ، لأن هـذه العمليـات الفسـيولوجية إذا كانـت كليـة فـإن خواصـها الكلية ستكون نفس خـواص عمليات الـوعى التـى يفترض أن تشكل تلك العمليات الفسيولوجية أساسًا لها ، ومن ثم فإن المجالين (الفسيولوجى و الواعى) سيعرضان معًا فى معية وثيقة قدر الإمكان بدلًا من اعتبارهما منفصلين بهوة لا يمكن اجتيازها ممـا يترتـب عليـه أننـا يمكن أن نستخدم ملاحظاتنـا عن البيئـة السلوكية و السلوك كمعطيات لشرح واقعى للفروض الفسيولوجية "(63)، وتتماثل البيئـة السلوكية – بمعنى البيئة الجغرافية فى وعى الكائن الحى – فى الشكل مع عمليات فسيولوجية تحدث فـى الـدماغ : الجشطلت و التركيـب بـين قـوى الـدماغ (التـى تعدل مـن نفسها لتحقق التوازن الذى يوازيه حدوث الإدراك الأبسط والأكثر اتساقًا الذى يمكن أن ينتج عن الإثارة الحسية) هو نفس الجشطلت فى الخبرة و الإدراك ، والإجابة عن السؤال لماذا تبدو الأشياء لنا فى الإدراك على نحو ما تبدو؟ هى أن العمليات الفسيولوجية داخل الكائن الحى لها نفس التنظيم والترتيب والعلاقة بين الأجزاء فى الظواهر، وأن نشاط الدماغ ينظم نفسه فى نماذج طبقًا لقانون الشكل الجيد.

الدماغ عند علم نفس الجشطلت محل لقوى فيزيائية لها خواص المجال، والإثارة الحسية تؤدى إلى تفعيل عمل ذلك المجال ،وإذا كانت القوى المكوِّنة لمجال الدماغ متوازنة كانت العملية مستقرة وبقيت كذلك ، والنتيجة أن الإدراك الناتج عن عملية الدماغ هذه سوف يتطابق بدقة مع الإثارة الحسية ، لكن إذا كانت القوى المكوِّنة لمجال الدماغ غير متوازنة فسوف تتغير عملية الدماغ حتى تحقق حالة من التوازن، وعملية استعادة التوازن بين قوى مجال الدماغ هى السبب فى الإدراك البسيط أو إدراك الشـيء فـى أبسط صـوره ،ومن ثم فأحداث و عمليات حقيقية –

تسببها خواص ذاتية intrinsic properties للمعطيات التى تؤثر فينا – تحدث داخل الدماغ هى السبب فى أننا لا ندرك الأشياء فى أجزاء منفصلة لكن فى تكوين وكل له معنى، ومن ثم " تجاهل علم نفس الجشطلت أصالة التركيب العقلى والتركيب الحيوى بردهما إلى التركيب المادى ، وتم توحيد المادة و الحياة و العقل بردهم إلى عامل مشترك من الصور المادية "(64).

إن ما فعله علماء نفس الجشطلت هو أنهم اختاروا الحل المادى فى تفسير علاقة المادى والفسيولوجى و العقلى حيث رأوا العالم المادى موجودًا يحوى كل الأشياء وحاولوا دمج السلوك فيه وبذلك ابتعدوا عن المذهب العقلانى Mentalism الذى عارض جوهرًا بآخر حينما أكد على أصالة العقلى و البيولوجى حين اعتبر الوعى قوة لكن من طبيعة غير مادية، أما حل علم نفس الجشطلت المادى لعلاقة المادى والفسيولوجى و العقلى فقد أكد على تماسك النظام المادى برد النظامين الآخرين (البيولوجى و العقلى) له.

بالنسبة لنظرية الجشطلت لا وجود إلا للصورة المادية حيث لا اختلاف بين النظم و العلاقات الثلاثة : المادة و الحياة و العقل؛ لأن الأولى هى الأساس substrate الذى يملك خواص الحيوى و العقلى ولا وجود لتمييزات مادية . والوعى الذى هو فى هوية مع المادى ولا يضيف جديدًا له ليس ضروريا لتعريف الإنسان إنما التركيب المادى هو الضرورى لذلك (63).

أما "بالنسبة للفلسفة التى سوف تتخلى حقًا عن فكرة الجوهر Substance و الشىء Thing فسيكون هناك عالم واحد هو عالم الصورة Form ، ولن يكون هناك مجالًا لأى علاقة علية بين الأنواع المختلفة للصور التى لها حقوق متساوية،

ولا بين العلاقات المادية و العلاقات التى يتضمنها وصف السلوك ، كما لن يكون هناك مجالًا لاستدعاء نموذج مادى يُحدث صورًا فسيولوجية أو عقلية" (64) .

فالطبيعة غير الحية physical والحياة life و العقل mind ليست ثلاثة أشياء أو جواهر إنما هى تركيبات structures أو أنظمة orders، والاختلاف بينها ليس اختلافًا بين ثلاثة أشياء إنما الاختلاف فى التركيب أو العلاقات ، ومن ثم فلا يوجد فى العقلى ما لا يوجد فى المادى ، و النظام الحيوى عملية تنظيم structuration جديد للنظام المادى ينتج عنه فرد individual أكثر تكاملًا من الفرد فى النظام المادى ، والنظام العقلى تنظيم structuration جديد للنظام الحيوى ينتج عنه فرد أكثر اكتمالًا من الفرد فى النظامين السابقين ولا يُرد إليهما .

والنظام هو نظام ظاهرىphenomenal أى بالنسبة للوعى ، لكن ليس الوعى الخالص الترانسندنتالى الذى يكوِّن العالم ولا يقع فيه، بل الوعى–فى–العالم ، أى الوعى الساذج أو الإدراك الحى المباشر الذى يحيا فى اتصال مباشر مع الموجودات ومع الأشياء ومع جسمه.

الإجابة عن أسئلة البحث

١–كيف تطور الجشطلت عند ماخ وايرنفلس و فرتهايمر؟

بينما فسره فى حالة الشكل المكانى بالشعور العضلى للعين، أو بالإحساس المباشر بالشكل المكانى (الذى يتطابق فى كل حالة ندرك فيها شكلًا معينًا كالمستطيل مثلًا) الذى يُعطي برفقة الشعور أو الإحساس بخطوط الشكل المدرَكة بالبصر ، كذلك يرافق الإحساس المباشر بالشكل الزمنى (اللحن نفسه مع تغير النغمات المؤلفة له أو مع تغير سرعة هذه النغمات) الإحساس المباشر بالنغمات الفردية للحن .

أما ايرنفلس فصاغ مصطلح " صفة الجشتالت " الذى رأى أنه مُعطى مباشر لكن من فئة مختلفة عن الإحساسات وإن كان يحتاجها ولا يظهر إلا في حضورها.

ورأى فرتهيمرأن الجشتالت لا يعتمد علي مثير موضوعي معين أو علي إحساسات معينة ، فظاهرة الفاى مثلًا لا ترجع لوجود كرة تتحرك ذهابًا و ايابًا وإنما ترجع إلي الكل الذى تفاعلت فيه العناصر .

وحددت نظرية الجشتالت الطرق و المبادىء التي يتم فيها تجميع المعطيات الحسية وأهمها – فى هذا البحث – مبدأ البساطة الذى يعتمد علي مبدأ تماثل الشكل بين قوى الدماغ وبين الإدراك الذى ينتج عنه : حيث تسبب الإثارة الحسية للشكل المعقد عدم توازن بين قوى الدماغ ، وهى كنظام مادى (العلية الدائرية أو التفاعل المتبادل بين مجموعة من القوى تسعي للتوازن) تميل لاستعادة التوازن ، وهذه ينتج عنها أن يصبح الإدراك أكثر بساطة واتساقًا ، فندرك الشكل المعقد في أبسط صوره.

٢-ولماذا وقع اختيار ميرلوبونتى على السلوك أساسًا لنقده لمفكرى الجشطلت؟

لأن النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس تعد تطبيقا للتفسير العلى والتحليل الواقعى ، فقد اهتم مرلوبونتى بدراستها لنقد المذهب التجريبى ،فهذه النظرية تحلل السلوك تحليلًا علميًا، فتستبعد القيم والمعانى لأنها مظاهر فينا وليس لها أساس فى الأشياء، ومن ثم لا محل لها فى التفسير العلمى للسلوك ، فالأخير يرى الفعل المنعكس ظاهرة خطية أو أحداث فسيولوجية و فيزيائية يحدثها فاعل فيزيائى كيميائى تؤثر فى مستقبل محدد يتحد بمسارات عصبية محددة من قبل مع الأعصاب الحركية التي تعمل بنحو آلى بمجرد بدء التأثير في المستقبل فتصدر

الحركة ،وحيث إن المستقبل – مثله مثل المثير – ينحل لأجزاء منفصلة خارج بعضها البعض فالكائن الحى وسلوكه هو مجرد أجزاء و عمليات خارج بعضها البعض .

٣- ما طبيعة التفسير الجشطلتى للجهاز العصبى في مقابل التفسير الآلى؟

حيث اتضح أن المستقبل الحسى يستجيب للمثير ككل لا لعناصره المنفصلة ،وأن المثير لا يمكن عزله عن السياق الذى يوجد فيه ، و لا عن المثيرات الأخرى التى يخضع لها الكائن الحى ومن ثم لا نجد روابطًا ثابتة بين مثير بسيط واستجابة بسيطة تحدث عنه دائمًا ، وبالتالى ثبتت عدم فاعلية فكرة العلية الآلية فى تفسير علاقة المثير بالاستجابة لا فى الفعل المنعكس الأولى ، ولا فى الصور الأعلى للسلوك مثل التعلم ، الذى لا يعتمد على روابط موجودة مقدما بين المستقبل و المستجيب ، إنما على فهم تركيب الموقف و صورته ، ومن ثم القدرة على التكيف معه بطرق مختلفة .

والصورة أو التركيب أو النظام هي علاقة العلية الدائرية بين الأجزاء التى لا ترد للأجزاء نفسها ، وهى علاقة توجد فى الوعى ، ذلك الذى لا يضيف الجشتالت من لا شيء فى المادة الحسية التى تتحقق فيها الجشتالت ؛ لأنه يكتشف المعني فيها، وهو بذلك لا يكون فعالًا بشكل كامل ولا سلبيًا بشكل كامل.

والجهاز العصبي كالنظام المادى يميل الجزء الحسى فيه لاستعادة التوازن المفضل بمساعدة الجزء الحركى ، و الجسم الحى ليس آلة من جزءين مستقلين تقيدهما مسارات معدة مسبقًا، إنما هو تركيب و كل ينظم نفسه بنفسه ويفهم البيئة كأنه واعى ، ومن ثم توجد علية دائرية بين إدراك إثارة البيئة و بين الحركة كاستجابة للإثارة.

٤-ما طبيعة الموقف الثالث -خلاف الواقعية و المثالية -الذى أظهرته دراسة السلوك عند ميرلويونتى؟ وما طبيعة فلسفة الصورة عنده فى ضوء نقده لمفكرى الجشطلت ؟

النظام المادى تركيب structure مثله مثل الجهاز العصبى ، مع الفارق فى علاقة كل منهما بالبيئة المحيطة : علاقة الأول بالبيئة علاقة كيانين منفصلين إذ هى معلول بعلة لا دخل له فى عملها ، أما فى الحالة الثانية فعلاقة جدلية بين كيانين يؤلفان كلًا واحدًا ، فلا تعتمد فيها استجابة الكائن الحى على الصفات المادية للمثير، وإنما على قواعد وميول توجد فى الكائن الحي نفسه ، إذن يوجد تركيب مادىphysical order يختلف عن التركيب الحيوى vital order ، ونجد فى الأخير نوعين من السلوك : السلوك الغريزي syncretic (عند اللاثدييات ***كالضفدع و العنكبوت invertebrates***) والسلوك القابل للانفصال عن مادة الموقف detachable(عند الثدييات كالكلاب و القطط والشمبانزى ***vertebrates***)

وفى السلوك القابل للانفصال عن مادة الموقف وجدنا الكائن الحى ينفصل عن مادة الموقف، ويفكر فيها بواسطة العلامة التى يمكن أن يطبقها فى مواقف أخرى، مثلا علاقة الأفتح لونًا التى طبقتها الدجاجة على موقف آخر ، لكن الكائن الحى لا يتجرد عن الموقف الحيوى كلية ؛ لأنه لا يعامل الشىء كرمز symbol قادر على الدخول فى كثرة من العلاقات دون أن يفقد نفسه ، كما يحدث مع الإنسان .

وفى الوقت الذي اختارت فيه مدرسة الجشتالت الحل المادى فى تفسير علاقة المادى والفسيولوجى و العقلى وجدنا مرلوبونتى يقر بفلسفة الصورة التى تحل

محل فلسفة الجوهر و الشيء ، والنظام هو نظام ظاهرىphenomenal أى بالنسبة للوعى ، لكن ليس الوعى الخالص الترانسندنتالى الذى يكوِّن العالم ولا يقع فيه، بل الوعى الساذج أو الإدراك الحسى المباشر immediate consciousness الذى يحيا فى اتصال مباشر مع الموجودات و الأشياء ومع جسمه.

الخاتمة والنتائج:

تحدث ايرنفلس عن معيارين للشيء حتى يكون "جشطلت "، الأول : أنه شيء أكثر من مجرد مجموع الأجزاء التى يتركب منها Super–summative ، والثانى :أنه يبقى ما هو مع تغير الأجزاء التى يتألف منها Transposable كاللحن الذى يمكن عزفه هو نفسه بنغمات و سرعات مختلفة ، وهو بذلك لا يُرد لتلك الأجزاء ،ومن ثم فالجشطلت أوالتركيب أو الصورة هى الكل الذى لا ترجع صفاته لصفات العناصر التى يتألف منها ،وليس هو حاصل جمع هذه العناصر.

وفي الوقت الذى ربط فيه كل من ماخ وايرنفلس الجشطلت بالإحساس (جعله الأول إحساسًا مباشرًا بالشكل أو الصورة ، وجعله الثانى محتاجًا للإحساس ولا يظهر إلا بحضوره رغم أن الجشطلت من فئة مختلفة عن الإحساس) فإن فرتهايمر رأى الجشطلت غير متوقف على الإحساس ؛لأن الكرة المدرَكة فى ظاهرة الفاى ترجع لتفاعل العناصر فى الكل ولا تتعلق باستقبال إحساسات معينة،وهذا الكل ينظم نفسه بنفسه دون أى تأثير يُفرض عليه من خارجه ،أى أن الأجزاء فيه تتفاعل بشكل دينامى حى يعرف فيه كل جزء الجزء الآخر فيتكيف مع ما يحدث له.

ولم يكن الجشطلت – عند مفكريه – موجودًا فى الخبرة المباشرة فقط (مثلًا ظاهرة الفاى)، لكن كان أيضا فى السلوك ،حيث يعيد الكائن الحى تنظيم العلاقة

بين عناصرالموقف ليحل المشكلة ويزول التوتر الناتج عنها، كالقرد الجائع الذى وضع فى قفص سقفه عال به حبل يتدلى منه الموز ،كذلك وضع صندوقان فوق بعضهما البعض داخل القفص ،وهنا نجد القرد يحاول القفز أكثر من مرة للحصول على الطعام فلم يتمكن ،وفجأة يدرك العلاقة بين الوسيلة و الغاية فيعيد تنظيم العلاقة بين عناصر الموقف ويستخدم الصندوقين كسلم ويتمكن من بلوغ هدفه.

وفى الإدراك و السلوك توجد خواص داخلية intrinsic properties للمعطيات هى التى أثرت على الجهاز العصبى (67) ،وهذه هى خواص الكل أو الجشطلت (الذى كانت حالة المصباحين فى ظاهرة الفاى أحد تشكيلاته ،وكانت عناصرموقف القرد أحد تشكيلاته)، وقد أحدثت تلك الخواص تأثيرًا في الدماغ كان عبارة عن مجالين تشابكا فأحدثا الخبرة بالحركة ، وفى النهاية حدث تماثل الشكل Isomorphism بين تركيب وصورة الدماغ مع تركيب وصورة الخبرة المباشرة فى حالة ظاهرة الفاى ، كما أثرت الخواص الداخلية للموقف فتمثلت فى مجال الدماغ فى شكل توتر فيه ما دفع الكائن الحى لعلاج المشكلة وإزالة التوتر الناتج عنها.

والجشطلت أو الكل –وهو ما يتحكم فى الأجزاء ويجعلها على ما هى عليه – –هو الكل وراء حالة المصباحين و هو الكل وراء حالة موقف القرد ، ولن نفهم لا الحالة الأولى و لا الموقف الثانى إلا به ، فالكل هو الذى يحدد الأجزاء وليس العكس كما هو الحال فى الذرية السيكولوجية Atomistic Psychology ، ومن ثم فهمت الباحثة " order" التى وردت فى كتاب ميرلوبونتى " تركيب السلوك " فى عبارات مثل " physical order " و" virtual order " على أنها "نظام" ؛لأنها تعنى الطريقة التى تُرتب وتُنظم فيها الأجزاء فى علاقتها ببعضها البعض تخضع

من حيث المبدأ لنظام هو الكل الذى يحدد ما يمكن أن تكون عليه علاقاتها المتنوعة.

ومن جهة أخرى –كما سبق – تتفاعل عناصرالجشطلت بشكل دينامي حى يعرف فيه كل جزء الجزء الآخرفيتكيف مع ما يحدث له، أيضًا يميل الكل أو الجشطلت لاستعادة التوازن بذاته بدون تأثير من قوى خارجية : حيث استقبل الدماغ فى الحالة الأولى (فى ظاهرة الفاى) مجالين نسّق بينهما ، وتمثل التوتر فى مجال السلوك فى مجال الدماغ كتوتر ، والاستبصار Insight أو الاكتشاف المفاجىء للحل هو الحل الذى يؤدى لإنهاء المشكلة.

وكذلك الحال مع فقاعة الصابون* soap bubble التي تبدأ فى أشكال مختلفة لكنها تتغير إلى أن تصل إلى كرة تامة لأن هذا الشكل الكروى هو الذي يمثل التوازن بين القوى الخارجية و الداخلية ،فهذا الشكل " هو حالة التوازن بين القوى الخارجية التى تؤثر على سطح الفقاعة الخارجى وتحاول أن تضغطها في نقطة واحدة وبين ضغط الهواء داخلها الذى يحاول الوصول لأكبر حجم ممكن للفقاعة، والشكل الدائرى هو الحل الوحيد لمشكلة الأقل والأكبر "(68).

وفي التركيب أو النظام الحيوى vital order عند ميرلوبونتى نجد ثباتًا في حالة خاصة للتوازن للكائن الحى مع بيئته الخارجية ، وهى حالة تميز الكائن الحي المفرد عن غيره ، حيث يوجد تركيب عام للسلوك لكل فرد يتم التعبير عنه في ثوابت معينة للتصرف ولعتبات الاحساس و الحركة (المستوي الذي يبدأ عنده استقبال الإثارة و التنبيه) ولدرجة الحرارة و ضغط الدم ...إلخ ، وكل ظاهرة منها تعبر بشكل متعادل تمامًا عما يمكن أن نسميه ماهية الفرد(69)، فالكائن يرغب فيما يحفظ بقائه وهذا يسبب له التوتر ولن يزول هذا التوتر ويتحقق التوازن

بالظروف الخارجية التي لا سلطة للكائن الحي عليها – علي نحو ما حدث مع فقاعة الصابون التي حفظت التوازن بين ضغط الهواء الخارجي والضغط داخل الفقاعه – إنما يتحقق التوازن بانتقاء الكائن الحى للمثير و البيئة التى تحدث التأثير المطلوب له، فالكائن الحى يختار ما يتأثربه : ففي يدى أداة للإمساك بالحيوان وهو يقاوم محاولات الإمساك هذه ، "وواضح أن كل حركة من حركاتى إنما تستجيب لمثير خارجي لكن من الواضح أيضا أن أفعال الإثارة هذه لا يمكننى استقبالها بدون الحركات التي أعرّض فيها أعضائى المستقبلة لتأثير أفعال الإثارة تلك "(70).

لكن فى الوقت الذى أجاب فيه مفكرو الجشتطلت عن السؤال لماذا تبدو الأشياء لنا فى الإدراك على نحو ما تبدو؟ ولماذا يسلك الكائن الحى على نحو ما يفعل ؟ وكانت الإجابة بسبب العمليات الفسيولوجية التى تحدث داخل الكائن الحى ، والتى لها نفس التنظيم والعلاقة بين الأجزاء التى نجدها فى الإدراك أو الظواهر،أى أن الاجابة كانت برد النظامين الحيوى و العقلى للنظام المادى وللعمليات المادية فى الدماغ ، فإننا وجدنا ميرلوبونتى يميزبين الجشطلت أو النظام الخاص بالشىء المادى Physical Order، والنظام الحيوى أو النظام الخاص بالكائنات الحية الأدنى من الانسانOrder Vital ، والنظام الخاص بالإنسان Human Order معتبرًا الاختلاف بينها فقط في درجة التكامل لا فى نوع الأشياء ؛لأن النظم الثلاثة هى علاقات و تركيبات لا جواهر.

فالأنظمة الثلاثة هى ظواهر Phenomena و معانى بالنسبة للوعى وفكرة الجشطلت هى "انضمام فكرة Idea لوجود Existence دون تمييز بينهما"،لكن الوعى هنا ليس الوعى الخالص الترانسندنتالى الذى يوجد خارج العالم ويكوِّنه لكن الوعى الساذج naive consciousness أو الإدراك المباشر

Immediate Consciousness يحيا في اتصال مباشر مع الموجودات و الأشياء ومع جسمه ، وبذلك يكون ميرلوبونتى قد رجع للظواهر.

فالأشياء في الإدراك المباشر ليست علة تحدث فينا صورها أو محتواها بحيث تقف هذه الصور أو المحتويات بيننا وبين الأشياء المدركة " فلا شيء أكثر غرابة عن الإدراك من فكرة عالم ينتج فينا تمثيلات متميزة عنه بواسطة فعل علّى (71)؛ "١٨٨ لأننا ندرك العالم نفسه والأشياء نفسها في حقيقتها الجسمية المادية bodily reality ولأن فعل الإدراك فى الإدراك الحى المباشر يكون مثله مثل شعاع الضوء الذى يجعلنا نرى الأشياء نفسها ولا نرى أفكارنا عنها ١٨٥" فلا يظهر لى المكتب الذى أراه أمامى كعلة لمدركاتى عنه أى كعلة تطبع علامتها وتنتج لها صورة فىّ بفعل متعدى لأن فعل الإدراك يبدو كشعاع الضوء الذى يكشف لى الشيء هناك حيث يوجد ويظهر حضوره الكامن حتى ذلك الحين "(72).

الهوامش

أولًا: هوامش المقدمة

*موريس جان جاك ميرلوبونتى Maurice Jean Jacques Merleau Ponty (١٩٠٨-١٩٦١) فيلسوف فرنسى فنومنولوجى اشتهر بكتابه "فنومنولوجيا الإدراك Phenomenology of perception" ١٩٤٥م الذى يركز فيه على "الجسم المعيش lived body "ودوره فى الإدراك و الكلام و العلاقة بالآخرين وغيره ، لكن البحث عن كتابه الأول" تركيب السلوك " .

يقع كتاب " تركيب السلوك" فى أربعة فصول ، الأول : نقد للذرية الفسيولوجية أو للتحليل العلمى للسلوك الذى يسعى وراء الموضوعية ، فيستبعد معطيات الوعى الساذج ويخلق ثنائية بين العلم و الوعى العادى، ويرد السلوك إلى مجموعة أفعال منعكسة لا يوجد بينها أى رابط أصلى لكن اتضح فشل ذلك التفسير حتى على مستوى الفعل المنعكس .

الفصل الثانى : يوضح أن ذلك التفسير الذرى فشل أكثر من ذلك على مستوى المستويات الأعلى من السلوك مثل التعلم على نحو ما وضحت نظرية الجشطلت .

وفى الفصل الثالث : ينتقد ميرلوبونتى مفكرى الجشطلت أنفسهم ؛ لأنهم عرضوا النتائج الأكثر أهمية لفكرة الجشطلت للخطر، ونقد ميرلوبونتى للذرية الفسيولوجية و لنظرية الجشطلت فى السيكولوجيا يرتبط بموضوع فلسفى هو الهجوم على المذهب التجريبى أو الواقعى الذى يفترضه هؤلاء إلا أن ميرلوبونتى بذلك لا يؤيد الموقف المضاد المثالى ، وفى الفصل الرابع : يقدم ميرلوبونتى فكرة جديدة للوعى وذلك بعد نقده لمفكرى الجشطلت . **انظر فى ذلك**

Merleau- Ponty, M. (1963**).*The Structure of Behavior.*** Trans. By Alden L. Fisher .Boston: (Beacon Press).p.4-5.

And

Bannan, John F.(1967).***The Philosophy of Merleau Ponty.*** New York: (Harcourt,Brace&World INC).P.30-31.

(1) Merleau- Ponty, M. **(1963).*The Structure of Behavior***. p.3.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

*يستخدم ميرلوبونتى كلمة " نقدى " فى عبارة " التفكير النقدى critical thought " ليشير إلى الفلسفة التى بدأها كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) والتى يمثلها بشكل خاص فى كتابه "تركيب السلوك" ليون برنشفيك ، أما الواقعية Realism والتحليل الواقعى Realistic analysis فيشير بهما ميرلوبونتى عادة للاتجاه أو المذهب الطبيعى Naturalism الذى يعتبر أن العالم كما يراه العلم هو الحقيقى ، وأن الحقيقة لا تتألف إلا من أشياء أو علل أو قوى طبيعية ، كما يشير ميرلوبونتى بهاتين الكلمتين "الواقعية و التحليل الواقعى " أحيانا للواقعية

الساذجة للعلم و للإدراك العام بأن العالم يوجد بدون مساهمة من الذات التى تستقبل تأثيره عليها بشكل سلبى **راجع فى ذلك** **Ibid. p.x.**

** فى وصفه للأسلوب السائد فى التفكير فى علم النفس استخدم ميرلوبونتى المذهب التجريبى Empiricism- التفكير العلى causal thinking - التفكير الآلى Mechanical thinking – المذهب الطبيعى Naturalism - المذهب المادى Materialismبشكل متبادل.

Bannan, John F.(1967).***The Philosophy of Merleau Ponty*** .P.28.

---

*ليون برنشفيك (١٨٦٩-١٩٤٤) شخصية بارزة فى المثالية الفرنسية و أهم ممثلى الكانطية الجديدة الفرنسية فى القرن العشرين.

(4**)** Merleau- Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior*****.**p.3.

---

(5) **Ibid. p.4**

* Available https://psychclassics.yorku.ca/Koffka/Perception/perception.htm

---

(6) Ibid. p.9.

***الصورة form والصيغة pattern والشكلshape أيضًا الترتيب configuration معانى و مترادفات للكلمة الألمانية Gestalt . راجع**

(7) Woodworth, Robert S. (1945).***Contemporary Schools of Psychology*****.** London (METHUEN & Co, LTD).p.99.

ثانيا : هوامش البحث

* Ernst Mach (١٨٣٨-١٩١٦) طبيب وفيلسوف نمساوى عرف بإسهاماته فى الفيزياء كما عرف كفيلسوف أثر فى الوضعية المنطقية و البرجماتية الأمريكية.

(8) Ehrenfels ,CH.Von. (1988). ***'ON Gestalt Qualities'***, in Barry Smith (ed.,) Foundation of Gestalt Theory .Munich and Vienna: (philosophia Verlag).p.82.
https://philpapers.org/archive/SMIFOG.pdf Available

(9) Ach, M. G.(1995).***Gestalt Psychology in German Culture, 1890 -1967: Holism and the quest for objectivity*** **.** Cambridge: (Cambridge university press).pp 87-88.

---

(10)Mach,E.(1959).***Analysis of sensations and the relation of the physical to the psychical***.New York:(Dover publications, Inc.).p.105.

(*) لقد اتفق ارنست ماخ ERNST MACH (١٨٣٨-١٩١٦) و فرانز برنتانو FRANZ BRENTANO(١٨٣٨-١٩١٧) وكارل شتمف CARL STUMPF (١٨٤٨-١٩٣٦) وغيرهم على أن تفسير الذرية السيكولوجية Atomistic Psychology للإدراك على أنه مجرد تجميع للإحساسات الفردية الذرية المستقلة تفسير غير ملائم ؛لأن الخبرة الإدراكية إنما تؤلف كلًا متحدًا ، وعلى إثر هذا الموضوع ظهرت مدرستان : Graz school فى النمسا ومنها مينونج ALEXIUS MEINONG (١٨٣٨-١٩٢٠) تلميذ برنتانو الذى طور أفكار ايرنفلس رغم أن الأخير كان مشرفًا عليه ، ومدرسة برلين ومؤسسها كارل شتمف تلميذ برنتانو وأستاذ هوسرل - EDMUND HUSSERL (١٨٥٩-١٩٣٨) والذى انتقل من مدينة Wurzberg إلى مدينة Berlin عام ١٨٩٤ ودرَّس لعدد من علماء النفس الواعدين ومنهم ڤرتهايمر MAX WERTHEIMER وكــولر KÖHLER WOLFGANG (١٨٨٧-١٩٦٧) وكوفكا KOFKKA KURT (١٨٨٦- ١٩٤١) مؤسسى علم نفس الجشطلت فى برلين .

بالنسبة لمينونج ومن تبعه من مدرسة Graz تحتاج صفة الجشطلت لعملية عقلية من مستوى أعلى من الإحساسات الأولية ، فإذا سمعنا اللحن مثلا عزلناه عن النغمات المسموعة حينها وتمكنا من عزفه بنغمات أخرى مختلفة عبر تلك العملية العقلية الأعلى من الإحساس بالنغمات الفردية ، أما مدرسة برلين فرغم معرفتها بفكرة "

صفة الجشطلت "عند ايرنفلس إلا أنها اعتبرت حركتها انفصالا جذريًا عن أفكاره؛ حيث رأى ڤرتهايمر أننا لا نحتاج لعملية عقلية من مستوى أعلى من الإحساسات حتى ندرك الجشطلت ،إننا من وجهة نظر ڤرتهايمر ندرك الكل أو

الجشطلت مباشرة و هو الأولى وليست الإحساسات ؛لأن الأخيرة تعتمد على التركيب الإدراكى الكلى Holistic Perceptual structure الذى توجد فيه وهو الذى يحدد ما تكون عليه الأجزاء.

راجع.

Alistair M.C.Issac and Dave Ward.(2019).***Gestalt Phenomenology and embodied cognitive science*** . Available: https://link.springer.com/content/pdf/10.1007/s11229-019-02391-7.pdf

---

(11) Ehrenfels, CH. Von. (1988). **Ibid**.

(12**) Ibid.P.93.**

---

(13) Ehrenfels, Ch.Von. (1988). ***'ON Gestalt Qualities (1932)'***, in Barry Smith (ed.,) Foundation of Gestalt Theory. p.121. https://philpapers.org/archive/SMIFOG.pdfavailable

---

(14) أنشأ فونت أول معمل لعلم النفس فى مدينة ليبزج Leipzig الألمانية ،واعتبر ذلك بداية لعلم النفس الحديث ،كما اعتبر هو أبا لعلم النفس التجريبى ، سمى فونت علم النفس " علم النفس الفسيولوجى " Physiological Psychology اعترافًا منه بأن علم النفس مدين للفسيولوجيا بالمنهج الذى قدمته وهو التجريب .

وعلم النفس عند فونت هو علم الخبرة الواعية المباشرة أى الشعور المباشر بالحرارة مثلا دون وجود أداة (ترمومتر) تسجل درجة الحرارة، وتنقل لى معرفة غير مباشرة عنها ، والخبرة المباشرة إنما تكون خبرة بالعناصر البسيطة للوعى التى نصل إليها بتحليل محتويات الوعى، وهذه ذات طبيعة مركبة وعند تحليلها نصل لأجزاء أولى لا ترد إلى ما هو أبسط منها وهى الإحساسات والانفعالات التى تصاحبها، ومن ثم سمى علم النفس بالسيكولوجيا الذرية atomistic psychology و يتم عزل تلك العناصر الأولى و تجريدها بمنهج الاستبطان Introspection المقرون بالتجريب أو ملاحظة الخبرة من قبل من يمارسها مع التحكم التجريبى الدقيق فى الظروف التى يتم فيها الاستبطان، وواضح أن دراسة الخبرة الواعية بهذه الطريقة سوف يفقدنا صفات الكل الذى يُعطى فى الخبرة المباشرة ذاتها على نحو ما هى معيشة ثم نعود لنبحث عن مبدأ لجمع العناصر (الصناعية) التى عزلت عن سياقها وهو مبدأ الترابط association.

راجع

Hergenhahn, B.R. (2009). ***An introduction to the history of psychology, (***6 ed.,). USA: (Wadswoth) .p.267-268.

(15)Merleau Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***. Trans. By Alden L. Fisher .Boston: (Beacon Press).p.106.

---

(١٦)المجال Field هو الحيز المحيط بالمغناطيس أو الشحنة الكهربية والذى يظهر فيه آثار كل منهما، إذ قد تحدث العلماء فى نهاية القرن ١٩م عن القوى Forces التى ينتشر تأثيرها فى المكان الفارغ دون معاونة وسيط مادى ينقل التأثير ، لهذه القوى خواص الامتداد والشكل وهذا ما يتضح مع برادة الحديد التى إذا وضعناها على ورقة فوق مغناطيس نلاحظ أنها سترتب نفسها فى مسارات غير متقاطعة تخرج من القطب الشمالى وتعود عند القطب الجنوبى للمغناطيس ،فالمجال هو الوسيط لنقل القوة حيث لا تكون الأجسام فيه منعزلة إنما مرتبطة مؤلفة كلًا غير قابل للانفصال عن أجزائه بحيث يؤثر أى تغير فى جزء من المجال بالضرورة على أى شىء آخر فى المجال، وقد انتقلت فكرة المجال من الفيزياء إلى علم نفس الجشطلت حيث طبقها كولر على الدماغ Brain الذى رآه مجالًا من قوى كهروكيميائية توجد قبل الإثارة الحسية وعندما تدخل المعطيات الحسية فى هذا المجال تعدل فيه وتتعدل به .

راجع

Lowry, R. (1971). ***The evolution of psychological theory 1950 to the present***. New York: (Atherton). pp. 222-223.
Available:
https://archive.org/details/evolutionofpsych0000lowr/page/n9/mode/1up

راجع أيضا

Sundqvist, F. ***The gestalt according to Berlin school: The crossroads between Empiricism and Rationalism: Part iii.*** Gestalt theory vol. 29(2007).No.3.p 227.

---

*يقصد ظاهرة الفاى.

(17) KÖhler, W. (1969).***The task of Gestalt psychology***. Princeton: (Princeton university press).pp .63-64.
Available:
https://archive.org/details/taskofgestaltpsy0000kohl/page/n8/mode/1up

---

(18) KÖhler, W.Ibid.p.64.

(19) Lowry, R. (1971). ***The evolution of psychological theory 1950 to the present***. New York: (Atherton). pp. 221-222. Available

https://archive.org/details/evolutionofpsych0000lowr/page/n9/mode/1up

---

(20) KÖhler, W. (1969).***The task of Gestalt psychology***. pp.64-65.

(21) Merleau- Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***.p.9.

*النظام المادى هو كل جزء من الكون تتم فيه تغيرات فيزيائية، كالماء فى الإناء، مثلًا إن كان مغليًا تصاعدت مادة النظام وهى الماء على هيئة بخار إلى الوسط المحيط ، كما أن حرارة الماء(الطاقة) تتسرب إلى المحيط أيضًا .

Available

https://ask-chemistry.com/1155

---

(22) راجع**Ibid.p.7.**

---

(22) Ibid.p.8

*Kurt Goldstein (١٨٧٨-١٩٦٥) طبيب ألمانى متخصص فى أمراض الأعصاب neurologist و الأمراض العقلية psychiatrist ، وضع نظرية كلية عن الكائن الحى فى ١٩٣٤ م بعد طرده من ألمانيا كونه يهوديًا عقب تولى هتلر السلطة فيها ،وهى نظرية ترى أن السلوك الإنسانى و القدرات لا يمكن فهمها إلا إذا نظرنا إليها فى علاقتها بالكائن الحى ككل .

---

(24) Goldstein. K., (1995**).*The Organism: A Holistic Approach to Biology derived from Pathological Data in Man* .**New York :(zone Books) P. 69.

(25) Goldstein K., (1963). ***Human Nature In the Light of Psychopathology***. New York: (Schocken Books).p.10.

---

(26) Goldstein. K., (1995).***The Organism*.**p.307

(27) Ibid.p.321.

---

(28) Spiegelberg .H. (1972).***Phenomenology in Psychology and Psychiatry***. Evanston :(Northwestern University Press) P.310-311.

*يرى جولدشتاين أننا نكون فكرة عن الكائن الحى بالتدريج تمامًا كما يحدث فى تعلم مهارة مثل ركوب الدراجة بالتدريج حيث يقوم الجسم فى البداية بحركات غير ملائمة أو مناسبة بشكل جزئى للركوب الصحيح للدراجة ، إلى أن نكون قادرين فجأة على المحافظة على

التوازن فنسير بالطريقة الصحيحة، هذه التمارين والممارسات الأولية لها فقط علاقة غير مباشرة بالأداء الذى تم تحقيقه عند الانتهاء من تعلم ركوب الدراجة على النحو الصحيح ، ومع ذلك هى ضرورية لأننا سنصل بالتعديل المستمر لتلك الممارسات للأداء الصحيح ، وتظهر الحركة الصحيحة فجأة عند بلوغ حالة من التوافق بين فعل الكائن الحى وظروف البيئة ، وتتضمن هذه الحركة الصحيحة فهم دقيق للإجراء الصحيح لركوب الدراجة والذى نحاول باستمرار الوصول إليه حتى يصبح هو الإجراء الوحيد الذى نقوم به عندما نرغب فى ركوب الدراجة . **راجع**.Goldstein. K., (1995).***The* Organism** .p.307.

(29) Goldstein. K., (1995).***The Organism*** .p.306.

ثوابت مثل : ثوابت بالنسبة لعتبة الإحساس و الحركة أى أقل مستوى للقوة يجب أن يصل إليه المثير حتى يدركه الكائن الحى، وأقل مدة للمثير يمكن أن تحدث حركة لعضلات الكائن الحى الساكنة،وثوابت فى درجة الحرارة وفى ضغط الدم والتنفس ونسب الكالسيوم والبوتاسيوم ونوع معين من رد الفعل للسموم...إلخ **راجع,Ibid.282

(30) Ibid.p.266.

---

(31)راجع

Merleau Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***.p.11.

---

(32) Ibid.p.10.

(33) Ibid.p.31.

---

(34) **Ibid**. p.28-29.

(35) **Ibid**. p.87 .

* بافلوف (١٨٤٩-١٩٣٦)عالم وظائف أعضاء روسى فسر التعلم بنظرية الاستجابة الشرطية حيث قرن المثير الطبيعى (تقديم الطعام) الذى يسبب استجابة طبيعية للكلب (سيلان اللعاب) بمثير آخر محايد (رن الجرس) الذى لا يسبب إلا الانتباه فقط عدة مرات، فلاحظ أن الكلب يسيل لعابه عند رن الجرس فقط دون تقديم الطعام ، وهنا تحول المثير المحايد إلى مثير شرطى يسبب استجابة شرطية.

---

(36) **Ibid**. p.94. راجع

*فى تجارب بايتندجيك Buytendijk (١٨٨٧-١٩٧٤وهو بيولوجي وعالم نفس هولندى) إذا دربنا سمكة الشمس sunfish على رؤية الخبز الأسمر أولًا ثم الخبز الأبيض وبعد اكتساب العادة خلطنا أجزاء من الطباشير مع الخبز الأبيض فإن السمكة تبدأ فى السلوك نحو الطباشير بشكل مختلف عن سلوكها نحو الخبز الأبيض، حينئذ إذا خلطنا قطعًا من المطاط الأسود بالخبز الأسود فإن سلوكًا مميزًا آخرًا تكتسبه السمكة لكن بسرعة أكبر عنها فى الحالة الأولى، وبعد فترة زمنية أقصر من هذه الأخيرة تعود السمكة للتكيف مع الخبز الأبيض ، ومن

ثم فإن التثبيط (انطفاء الاستجابة تجاه الطباشير) inhibition المكتسب بالنسبة لأجزاء الطباشير يمكن الحيوان من اكتساب تثبيط أسرع فى حالة المطاط، ومن ثم فإن الحيوان قد اكتسب القدرة على الانتقاء و الاختيار ولم يكن يتكيف مع مواد معينة . راجع **Ibid**. p.97.

---

(37) **Ibid**. p.96.
(38) **Ibid**. p.161.
(39) **Ibid**. p.35.

---

(40) Ibid. p.79.
(41) Ibid. p.91.

---

(42) **Ibid**.p.47 .
(43) راجع **Ibid**.p.50

يذكر ميرلوبونتى فى نفس المرجع ص ١٣٧" فكرة الصورة التى فرضت علينا من قبل الحقائق تشبه فكرة النظام الفيزيائى ،أى فكرة مجموعة من القوى فى حالة توازن أو تغير دائم بحيث لا يمكن صياغة قاعدة لأى قوة بمعزل عن القوى الأخرى ،وبحيث أن كل متجه * يتحدد فى حجمه واتجاهه بباقى المتجهات ، ومن ثم سوف يترجم أى تغير موضعى فى الصورة بإعادة توزيع القوى الذى يضمن استقرار علاقة هذه القوى ، وإن هذه الدائرية الداخلية لهى النظام كحقيقة فيزيائية ." و*المتجه vector هو الكميات التى لها مقدار واتجاه مثل السرعة لها مقدار واتجاه أما الطول مثلا فله مقدار فقط.

(45) **Ibid**.p.206.
(46) **Ibid**.p.144.

* حيث ميز كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) بين عالم الظواهر وعالم النومينا ، الأول : هو العالم على نحو ما يظهر لحواسنا أى كما يؤثر فى حواسنا بواسطة الحدوس الحسية ، والثانى : هو نفس العالم لكن لا بالنسبة للإنسان ولحواسه ، وعالم الظواهر اتحاد لعنصرين: الحدوس الحسية التى نستقبلها بلا إرادة بحواسنا (الألوان والأصوات والطعوم و الروائح والملمس) والتصورات القبلية الصورية الخالصة ، وهى عبارة عن طرق معينة لجمع وترتيب لهذه الحدوس الحسية، أو هى طرق موجودة بشكل قبلى فى طبيعة العقل للحكم على هذه المادة الحسية وفهمها .

ومن ثم لا تصور قبلى يمكن أن يظهر إلا إذا سبقه استقبال مادة حسية، فمثلا إذا رأيت مجموعه أقلام سوداء فقد وصلت لحاسة البصر عندى حدوسًا حسية عن لون وشكل الأقلام فحكمت " بأن الأقلام كلها سوداء"، هذا الحكم هو جمع بين حدوس حسية هى رؤية اللون الأسود فى كل الأقلام وفكرة موجودة مقدما للحكم على المادة الحسية وفهمها وترتيبها هى

فكرة الوحدة أو مقولة الوحدة ، ولا يمكن أن نفصل رؤية اللون الأسود الواحد فى كل الأقلام عن فهم الوحدة بين الأقلام .

---

(47) راجع

Romdenh-Romluc,K.(2018) ***Science in Merleau-Ponty's Phenomen--ology: from the early work to the later philosophy***. In: Zahavi, D., (ed.) Oxford Handbook of the History of Phenomenology .Oxford: Oxford university press. (pp.340-359) .

*** راجع ص ١٣ من البحث.**

(48) Merleau Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***.p.46.

(49) **Ibid**.p.36.

(50) **Ibid**.p.41.

(51) **راجع**

Ibid.p.39-40.

---

(52)Priest .S., (1998). ***Merleau-Ponty***. London :(Routledge).pp.162-163.

---

(53) Merleau Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***.p.137.

(54) **Ibid**. p.145.

---

(55) Ibid.p.162.

(56) Ibid.p.104.

---

(57) Low, Douglas.(1994).***The foundation of Merleau Ponty's Ethical Theory***. Human Studies, Vol. 17, No. 2, pp. 173-187.

---

(58)Vörös, Sebastjan.(2020) "***Mind Embodied, Mind Bodified: Merleau-Ponty and the Enactive Turn in Mind Sciences***". Études Phénoménologiques, vol. 4, pp.91-117.

Merleau Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***.p.118.) 59(

***راجع ص(ج) من البحث الحالى**

(60) Bannan, John F.(1967**).*The Philosophy of Merleau Ponty*.**p.28.

(61)Romdenh-Romluc,K.(2018) ***Science in Merleau-Ponty's Phenomenology : from the early work to the later philosophy***. In: Zahavi, D., (ed.) Oxford Handbook of the History of Phenomenology .Oxford: Oxford university press. (pp.340-359).

62)Koffka.K.,(1935).***Principles*** **of Gestalt Psychology.**p.49. Available(

https://archive.org/details/in.ernet.dli.2015.166426/page/n10/mode/1up

* يميز كوفكا بين السلوك الكلى molar behavior والسلوك الجزيئى molecular behavior الأول: هو الفعل الهادف للكائن الحى الذى يحكمه إدراك معنى البيئة ، أما السلوك الجزيئى فهو وصف العملية التى تحدث داخل الكائن الحى من إثارة الحواس إلى انتقال الإثارة عبر الألياف العصبية و المركز العصبى ثم تحول الإثارة وانتقالها إلى العصب المستجيب وانتهائها إلى انقباض عضلة أو إفراز غدة.

ويتألف السلوك الكلى من عناصر تتفاعل مع بعضها البعض وأى تغير فى إحداها يؤدى إلى تغير الآخر، أما السلوك الآخر الجزيئى فيتألف من عناصر تعمل بشكل مستقل عن بعضها البعض على نحو ما فسرت المدرسة السلوكية السلوك بعناصر منفصلة ، ويتطلب تفسير السلوك الكلى عند كوفكا تمييز البيئة السلوكية عن البيئة الجغرافية : البيئة الجغرافية هى البيئة على نحو ما يصفها علم الطبيعة وهى علة الإثارة الحسية ، أما البيئة السلوكية فهى البيئة على نحو ما تبدو فى خبرتنا ، إنها معنى البيئة الجغرافية فى وعى الكائن الحى وليشرح كوفكا ذلك يذكر حكاية ألمانية حيث قامت عاصفة ثلجية شديدة فى أحد ليالى الشتاء وكان هناك فارس يمتطى جواده ضل الطريق وهو يبحث عن بحيرة كونستانس ،و فجأة وجد هذا الفارس فندقًا ففرح لأنه وجد مأوى من العاصفة الثلجية، وعندما رآه صاحب الفندق سأله مندهشًا عن الاتجاه الذى جاء منه فأخبره ، فرد صاحب الفندق مذهولا "لقد اجتزت بحيرة كونستانس بجوادك " وعندما أدرك الفارس أنه مر لساعات على البحيرة لا على ما اعتقده سهلًا مغطى بالثلج مات لتوه فزعًا فلم تكن البيئة السلوكية لهذا الفارس البيئة الجغرافية على حقيقتها إنما كانت البيئة الجغرافية فى فكره ، لقد بدت له البحيرة كأنها أرض صلبة غطاها الثلج ولو عرف أنها البحيرة وقد تجمد ماؤها لامتنع عن سلوكه هذا .

راجعKoffka.K.,(1935).***Principles of Gestalt Psychology***.p.27-28.

---

(61)**Ibid**.,p.56.

---

(64) Merleau Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***.pp. 135.

(65) **راجع**

Ibid. P. 137

(66) **Ibid**., pp. 133-134.

ثالثًا : هوامش الخاتمة و النتائج

(67)Leahey, Thomas H. (1991). ***A History of Modern Psychology***.New Jersey :(Prentice-Hall). PP.72-73. Available https://archive.org/details/historyofmodernp00leah/page/72/mode/1up

(68) Merleau Ponty, M. (1963).***The Structure of Behavior***.P.146.

(69) **Ibid**,P.148.

*الجشطلت يوجد فى الطبيعة أيضًا حيث تحدث كولر عن الصورة المادية physical form مثل فقاعة الصابون و النظام الشمسى.

---

(70) **Ibid**,P.13.

(71) **Ibid**, P.188.

(72) **Ibid**, P.185.

Merleau Ponty's Critique of Gestalt Theory In His Work *The Structure of Behavior*.

In his short introduction to "the Structure of Behavior" Merleau Ponty pronounced his aim to understand the relation between Consciousness and Nature.

Among his contemporaries there were two main attitudes: the realist, empiricist, materialist or naturalist in (biology) and psychology which sees consciousness as physical events in nature existing parts extra parts and in causal relations with other physical events and the idealist which sees it constituting nature and existing outside it distinct from it. But Merleau Ponty chose a third position which is the "Form" philosophy.

Merleau Ponty chose studying "Behavior" because the "Classical theory of the Reflex" was an application of the realistic analysis and causal explanation. This Theory treats Behavior as parts extra parts and in causal relations with each other and with other physical events.Then criticizing this theory is a criticizing of the first contemporary attitude to Merleau- Pony's time. This does not mean that Merleau- Pony's was an idealist.

Although he called Gestalt psychologists: Wertheimer, Kaffka and Kohler philosophers of "Form", they did not think according to it because they neglected the originality of both the virtual (biological) order and the mental order by reducing them to the third physical order ."Form" then according to their theory is a "Thing" but Merleau Ponty sees it indiscernible from existence."Form" or" Structure", for him, is an idea indiscernible from existence.